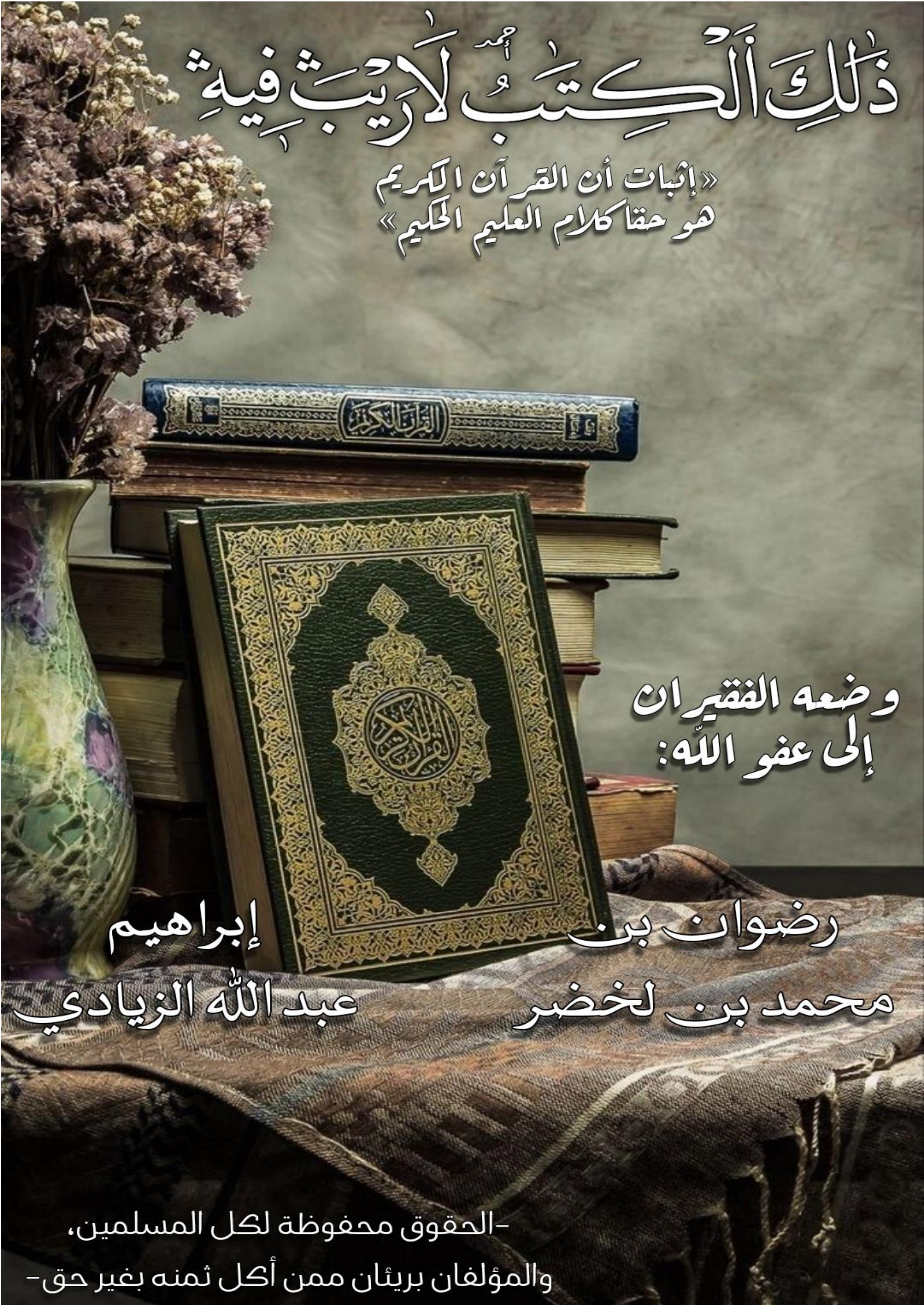


ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ

«إثبات أن القرآن الكريم
هو حقا كلام العليم الحكيم»

وضعه الفقيران
إلى عفو الله:

رضوان بن
محمد بن لخضر

إبراهيم
عبد الله الزيادي

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ

إثبات أن القرآن الكريم

هو حقا كلام العليم الحكيم

تأليف:

رضوان بن محمد بن لخضر

إبراهيم عبد الله الزيادي

١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

الإهداء

إلى عائلتي: أبي وأمّي وأخواتي، الأحبّة والأعزّاء على قلبي، أسأل اللّه الرحمن الرحيم أن يحفظكم ويهديكم إلى صراطه المستقيم ويُثبّتكم عليه لآخر لحظة من أعماركم...

يا ذا الجلال والإكرام، ارزقني وعائلتي لذّة النظر إلى وجهك الكريم.

رضوان بن محمد بن لخضر

إلى أمي وأبي: أسأل اللّه عزّ وجل ذا الجلال والإكرام، أن يبارك في أعمارهما ويحفظهما، وأن يرزقهما دخول الجنّة ولذّة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

إبراهيم عبد الله الزيادي

كما لا ننسى أن نسأل اللّه عزّ وجل أن يبارك ويجزي خيرًا الأخ الحبيب ياسين القسنطيني الذي صمّم لنا غلاف الكتاب، والأخ الحبيب بن عودة بديار الذي اعتنى بترقيم الصفحات وكتابة الفهرس.

نرجوه عزّ وجل أن يرزقهما الإخلاص لوجهه الكريم، وأن يجعل مساهمتهما في هذا الكتاب صدقةً جارية وذُخرًا لهما يوم القيامة.

الفهرست

مقدّمة المؤلّف: رضوان بن محمد بن لخضر:..3
مقدّمة وفائدة قيّمة، من المؤلّف: إبراهيم عبد الله الزيادي:...5
الدليل الأول: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم..9
الدليل الثاني: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم..45
النوع الأول: الإعجاز الغيبي المستقبلي..46
النوع الثاني: إعجاز غيب الماضي...54
الرد على أشهر الإعتراضات والشُّبه حول إعجاز غيب الماضي في القرآن الكريم..........................69

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة المؤلّف: رضوان بن محمد بن لخضر:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

يقول الله العظيم, الرحمن الرحيم، تبارك وتعالى:

{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2]

{لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصّلت: 42]

{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1]

{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88]

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 23]

نعم فالقرآن الكريم هو أحسن الكلام وأعظمه، وهو الذي يعلو ولا يُعلى عليه، وهو الذي ترتوي منه القلوب قبل الآذان، وحاجة النفس إليه أشد من حاجة الأبدان إلى الماء.

وكيف لا وفيه صلاح ديننا وعصمة أمرنا، وعزّتنا مقيّدةٌ بمدى تمسكنا به واتباع تعاليمه؟!

وهو النور الذي تفضّل الله الكريم المنّان به على بني آدم عربهم وعجمهم، بأن اختاره ليكون رسالة النجاة الأخيرة المُنزّلة على عبده المُصطفى محمدٌ بن عبد الله ﷺ.

بلسانٍ عربي مبين أُنزِل، ليتربّع على عرش البيان وقوة الفصاحة وحلاوة البلاغة جاعلاً أعناق أسياد العربية خاضعةً مقهورة أمام سطوته عليهم، حيث أنهم لم يقدروا على مواجهته ولا على مواجهة الرجل الذي يُبلّغه بغير الكذب والافتراء واللغو تارة، وبتجييش الجيوش وتحزيب الأحزاب وبذل النفوس والأموال تارة أخرى، ومع ذلك باؤوا بالزوال والهوان، وبقي كتاب رب العالمين شامخًا -كما يليق بكلام ملك الملوك- إلى حد الساعة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وها هو التاريخ يُعيد نفسه، وكفّار اليوم يمشون على نفس خطوات كفّار الأمس لكن مع القليل من التحديثات: فبعدما فهموا جيّدًا ووعوا مكانة القرآن في الإسلام، وكونه المصدر الأول الذي يستقي منه المسلمون عقيدتهم وشريعتهم، وأنه منبع فخرهم وعزّتهم، قرّروا توجيه معظم سهامهم نحوه، وبالغ تركيزهم على التشغيب حوله بكل ما أوتوا من كذبٍ وإفتراءٍ وتدليسٍ، باذلين في ذلك الأموال الطائلة لتمويل مشاريعهم الخبيثة بمختلف أنواعها، تحت إدراة مرتزقةٍ من بني جنسنا يتكلّمون بلغتنا، لأجل أن يفتنوا الناس عن دينهم ويفسدوا عليهم آخرتهم، والله المستعان!
ولكن سنّة الله نافذة على خلقه، ووعده الحق، ونبشّر هؤلاء الخونة المرتزقة وأسيادهم الذين يموّلونهم بقول الجبّار العظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36] وقوله كذلك سبحانه وتعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8]

لماذا هذا الكتاب؟

- طمعًا في أن يصيبنا وعد الله المنّان الكريم في قوله ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73]
- طمعًا في أن يصيبنا وعد الله الرحمن الرحيم في قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)﴾ [الفيامة]
- طمعًا في أن ينالنا كلام النبي صلى الله عليه وسلّم الذي رواه مسلم في حديث برقم 1631:" إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له."

لذا قرّرت أنا وأخي العزيز إبراهيم أن نترك وراءنا بعد موتنا -الذي أسأل الله المنّان الودود أن يختم لنا فيه بالإسلام- هذه الورقات المتواضعة التي حاولنا فيها على قدر المستطاع نصرة هذا القرآن المجيد الذي هو كلام ربّنا العظيم، المحتوية على حُزمة من البراهين المتنوعة الدالّة على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف بشرٍ بل هو قطعًا كلام خالق ورب البشر تبارك وتعالى، بالإضافة إلى احتواها ردودا -نزعم بإذن الله الواحد الأحد أنها كافية شافية- على

أشهر الشبهات والسفسطات الباطلة المتهافتة التي يلقيها علينا شياطين الإنس بوحيٍ من أوليائهم شياطين الجن! مُزاحمين بذلك إخواننا من المشايخ والدعاة وطلبة العلم الذين ألّفوا في مجال الدفاع عن القرآن الكريم ودرء الشبهات عنه ما لا نقدر على إحصائه.

فأسأل الله الرحمن الرحيم أن يرزقني وأخي إبراهيم الإخلاص لوجهه الكريم وحده، وأن يتقبّل منّا كتابنا هذا وأن يجعله ذخرًا لنا يوم القيامة يوم لا ينفع دينار ولا دِرهم، وأسأله كذلك أن يُطهّر قلبينا من أيّ شائبة رياء قد تفسد علينا أجر عملنا الصالح وتحرمنا من كرم ربّنا العظيم الغني عن الشرك وأهله، مقتدين بمعلّمنا وقدوتنا رسول الله ﷺ فنقول " اللهم إنّا نعوذ بك أن نُشرك بك ونحن نعلم, ونستغفرك لما لا نعلم "

مقدّمة وفائدة قيّمة، من المؤلّف: إبراهيم عبد الله الزيادي:

الحمد لله والصلاة والسلام على من اتبع هدي نبينا محمد ﷺ، أما بعد: اعلم يرحمك الله، أن في طيات هذا الكتاب دلائل وبراهين نستأنس بها للبرهان الأكبر والدليل الأعظم على صحة الإسلام، ألا وهو تلبية هذا الدين لمطلب الفطرة من معرفة كمال الله وعبادته ووصفه بما يليق به وتنزيهه عما يتنزه عنه، لأنك لو قلت أن دينًا ما على وجه الأرض سقط في مطلب تنزيه الخالق عن النقائص ووصفه بباقي مطالب الفطرة، فلا حاجة للخوض في تفاصيل ذاك الدين؛ فالإقرار بكمال الله وصفاته سبحانه هو أول شرط نتفق عليه، وتنزيهه عن النقائص وإثبات العلم والحكمة له مطلب لا يزول في النفس وهو المعيار لقبول دينٍ أو رفضه.

لماذا الإسلام من بين جميع الأديان؟!

اعلم هداك الله أننا اتفقنا على مسألة تنزيه الإله لأنها الفطرة الواجبة عند النفس البشرية كما هي فطرة وجوده في النفس ضرورة قبل قوة الدليل، ولأن المسألة متأصلة بالنفس جبلها عليها الله تعالى؛ ومنه، نتطلق بسؤال: لماذا الإسلام من بين الجميع؟ ولا يحتاج منا إثبات فطرية التنزيه هذه لأنه علم ضروري في النفس، كما معرفة الباري سبحانه ضرورية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وأما الاعتراف بالخالق، فإنه علم ضروري لازم للإنسان، لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لابد أن يكون قد عرفه، وإن قدِّر أنه نسيه ذُكِّر، ولهذا يسمى التعريف بذلك تذكيرًا، فإنه تذكير بعلوم فطرية قد ينساها العبد ".[1]

ومن شبهات الملاحدة ضد الإسلام، زعمهم أن في القرآن الكريم أخطاء العلمية؟

[1] درء تعارض العقل والنقل 489/8

ويجب أن نتوقف هنا للحظة ولا نندفع بالرد ونسأل الملحد: أخطاء؟! ما المشكلة لديك إن كان هناك أخطاء علمية في القرآن؟ هل تنزه الله تعالى عن الخطأ؟ الله الذي تنكر وجوده؟
تأمل كيف أنه عند بحثه عن أخطاء في القرآن وتدليسه وتلفيقه لأخطاء علمية أو تاريخية -أو أيًا يكن- هو فقط يحاول القول " إن القرآن فيه أخطاء وخالق الكون لن يخطئ ".
فقم هنا بقلب الشبهة عليه وذكِّره: هل تنزّه الخالق عن الخطأ وأنت منكرٌ لوجوده؟ وما المانع من أنه قد يخطئ؟ هل لديك معرفة مسبقة عن خالقك؟!
قد تجده يسفسط عليك هنا بأنه فقط يلزمك بمعتقدك ودينك الذي ينزّه الخالق، فأخبره هنا أن يتفضل ويقدم لك نقد للهندوسية دون الاعتماد على ضرورة تنزيه الباري الذي ينكر وجوده مكابرةً لفطرته!
وهنا الآن لا أخطاء الفيدا ستفلح مع الملحد ولا القول بأن كتبهم محرفة ولا أي شيء مما يعتمده معك في نقده!!
لأن الهندوسية بالأصل لا تنزّه الباري عن النقائص فكل نقدٍ متمركزٍ حول تنزيه الباري لن يفلح مع الملحد!! حتى حلول الخالق في فأر أو بقرة (تعالى سبحانه عن هذا) ليست حجة لنقد الهندوسية، فأنت كملحد لا تعترف بوجود الله عوضًا عن تنزيهه فانتبه! فلزِم بذلك تساوي كل الملل مع بعضها الآن ووقوف الملحد حائرًا لا يستطيع نقض دين مثل الهندوسية، لأن أصل شبهاتهم كلها منطلقة من التنزيه الله الفطري دون شعورٍ منهم! فالفطرة هي حجة الله الأولى في الخلق يوم القيامة وهي الأساس لقياس صحة أي دين عن غيره ودون فطرة التنزيه يُجرّد الملحد من كل نقد ويُقلب عليه في حيرة.
فلا حُجة له أمام الهندوسية كما رأيتم وهي أكثر الأديان اعتباطًا أو حاجةً إلى التكلف في النظر إلى كتبها لتقرير خطئها عند معرفة خلافها مع مقتضيات الفطرة الضرورية في تنزيه الخالق, وإليكم هذا المثال عن رسالتي مع ملحدٍ ناقشته حتى أصيب بارتباك شديد وكان مما كتبت إليه:
" أنا فقط أذكرك بفطرتك التي تكابرها، فوالله لو ناقشتني بصدق لن تخرج من عندي إلا وقد سلمت بخالق للكون، وتفضل! حاول نقد الهندوسية دون الاعتماد على فطرة تنزيه الخالق عن النقائص! فأنت تنكر أن وجود الله علم ضروري في نفسك ولكن تستخدم فطرتك في تنزيهه عن الخطأ والنقص لنقد الأديان وكلاهما علم ضروري في النفس، فبعد تنبيهي لك حول العلم الضروري هذا، الآن حاول نقد الهندوسية دون الحديث عن إشكالات تقول فيها "الله لن يتصف بهذا"! والآن فاحتمال أن يكون خالق الكون متجسد في فأر أو بقرة كاعتقادهم وارد، ووجود أخطاء عادي، وأنت عاجز عن نقد الديانة الهندوسية أو إثبات بطلانها لأي عاقل، فلا أطلب منك التفتيش في مذهبهم فقط أعطني دليل عقلي على عدم صحة الهندوسية دون الاعتماد على فطرة التنزيه للباري وركز الهندوسية وليس الإسلام الذي ينزه الخالق عن النقائص ويلبي مطلب الفطرة".
ومن هذا نتحداهم أن يأتوا بعقيدة توافق مطلب الفطرة بتنزيه الخالق غير عقيدة محمدﷺ. فهنا أخبرك من ذات الفطرة السابقة أن تجد لي دينًا في العالم ينزّه الإله ويفرد له بالطاعة والتوحيد والخضوع مثل الإسلام؟ وهذا أول

وأقوى دليل طرحه كل العلماء في كل العصور، فإن طُرح سؤال لما لا تكون البوذية هي الديانة الحقيقة؟ ينبغي معه سؤال الفطرة -وهي ما سيحاسبك الله عليها-، فالبوذية لا تعترف بإله خالق وتتجه بعباداتها إلى الأوثان وهنا يكون ضربا من العبث المرفوض من مبدأ العقل أن نقبلها بله أن ندرسها، فلا يُتكلف ردها أصلا، فضلا عن أن يُطرح دين كالهندوسية التي تعتقد تجسد الله في مخلوقات مثل البقر والحيوانات واتصافه بالنقص والخطأ بأنها قد تكون صحيحة ولبت مطلب هذه الفطرة!

فضلاً عن الأديان التي تنازع الله في وحدانيته! فإذا كانت ملة يكون أصلها الأول الذي تقوم عليه هو اعتقاد أن الرب الخالق ثلاثة آلهة وإله واحد معا في نفس الوقت وتم صلبه، فلا يحتاج عاقل إلى دراسة كتابهم المقدس حتى يحكم بأنها ليست هي الدين الذي يرضاه رب العالمين المتصف بالكمال المنزه عن النقائص الذي أودع لنا فطرة لنتعرف بها عليه وعلى صفاته، وإيماننا أن القرآن والإسلام دين رب العالمين ينبع من مناسبته الفطرة، فإذا كان قد بلغنا العلم بأن رجلاً قد بعث في الناس يقول إن الباري قد أرسله ليخرج الخلق من عبادة المخلوقين إلى عبادة الخالق الواحد الأحد بلا شريك ولا ند ولا مكافئ، وتقديره حق قدره سبحانه، فإنه لا يحتاج حتى إلى أن يقف على أصول الملل الأخرى ليعرف أنها ليست من الباري وليست مما تقبلها الفطرة في تنزيه الخالق مثل الإسلام، فينظر بعدها إلى دلائل النبوة، فحتى أشد الأديان شركًا مثل الهندوسية والمسيحية يحاولون قبولها بإيهام أنفسهم بالتوحيد!

فالهندوسية موحدة في عقيدتها وتحاول إيهام نفسها أن الأصنام هي الله والله هو الأصنام لأن عقيدتها أشبه بوحدة الوجود، والمسيحية تحاول إيهام نفسها أن الثالوث والأقانيم توحيد، وما فعلت هذا إلا لاستقباح الفطرة البشرية الشركَ واستحسانها التوحيد، فيحاولون تمرير ضلالهم بإيهام أنفسهم أنهم على التوحيد.

فالإيمان أن الإسلام هو دين الحق ينبع جذريًا من العقيدة بأن الله لا شريك له سبحانه، فلا يشاركه ولا يساويه أحدٌ من خلقه. وهذا واضح جلي، لا يماري فيه إلا مكابر! فأنت من قبل أن تفتح القرآن لتقرأ فيه، تعلم أن هذه الدعوى الحق والتي تقبلها الفطرة وترتضيها لا توجد بدين آخر غير الإسلام، لدرجة أن فلاسفة التنوير في أوروبا وأول من انسلخ عن الدين كانوا ربوبيين واعترفوا في كتاباتهم أكثر من مرة أن اصح الأديان من حيث عقائده هو الإسلام! بل أقرّوا أن محمدًا ﷺ رجلٌ عرف الدين الحقيقي من حيث العقيدة من توحيد الخالق وتنزيهه وجعل منه دينًا له، بل تجد إسحاق نيوتن الذي كان موحدًا اعترف بأنه ﷺ نبيٌّ مرسلٌ من الله ولكنه للعرب فقط![1]

فلم تعاني عقول الجاحدين والمنسلخين من الأديان إلى الربوبية في عصر التنوير بداهة أن الإسلام هو الدين النقي الوحيد من حيث عقائده التي تنزّه الخالق ولا تشوبه شائبه من حيث العقيدة، وهو الذي يستحق البحث في بقية تفاصيله لصلاح عقيدته التي تناسب الفطرة.

[1] Correspondence of Sir Isaac Newton and Professor Cotes : including letters of other eminent men, now first published from the originals in the library of Trinity College, Cambridge; together with an appendix containing other unpublished letters and papers by Newton; with notes, synoptical view of the philosopher's life, and a variety of details illustrative of his history 1642-1727, by J. Edleston.

الدليل الأول: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

1ـ تعريف مصطلح البلاغة:

هي العلم الذي تُعرف به فصاحة الكلام، مع مناسبته للمقام، ووفائه بالمعنى المراد مع جمال الأسلوب.

أو بتعبير آخر هي: تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمته للمقام والأشخاص المخاطَبين.[1]

2ـ لمحة عن إهتمام العرب باللغة وتنافسهم فيها:

كانت العرب قبل الإسلام تحب الشعر، والاستماع له، لأنه ديوانهم الذي يخلد مفاخرهم ويسجل أنسابهم ووقائعهم ويُذكي نار الحماسة في نفوسهم، وكان لكل قبيلة شاعر أو أكثر، يناضل عن أحسابها ويشيد بمفاخرها ويذود عن حياضها.[2]

ويتجلّى ذلك أكثر، عندما نلقي نظرة تاريخية على أشهر الأسواق التي كانوا يجتمعون فيها كسوق عكاظ وذي المجاز ومجنّة وغيرها، فقد كانت هذه الأسواق العربية -رغم أنها مكان للتجارة والمقايضة- ميدانًا فسيحًا لتبادل الآراء، وعرض الأفكار، والتشاور في مشكلات الأمور، ومجالا للمفاخرات والمنافرات والمحاورات، ومعرضا لإذاعة مفاخر القبيلة وشرف الأرومة، وناديًا واسعًا لإلقاء روائع الشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالبلاغة. وفيها ألقيت أشهر القصائد والمعلقات العربية، فأنشد عمرو بن كلثوم معلقته في عكاظ، وكذلك فعل الأعشى الذي أنشد فيها قصيدته في مدح المحلق، وكانت في هذه الأسواق منابر الخطابة في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته فيذيع فعاله ويعدد مآثره ومآثر قومه وأيامهم عاما بعد عام.

وكان النقاد والشعراء والرواة يجتمعون في الأسواق: فينشد الشعراء، وينقد النقاد، ويذيع الرواة ما سمعوه في كل مكان, وكان النابغة الذبياني حكم الشعراء بسوق عكاظ، وكانت تضرب له قبة فيه، فتأتيه الشعراء ينشدونه قصائدهم فيحكم لبعضهم على الآخرين.وكان هذا الميدان الأدبي الفسيح، بما فيه من آذان مرهفة، وعيون متطلعة وأذواق حصيفة، يحمل الشعراء والخطباء على التجويد والتهذيب والتنقيح، ويدعوهم إلى تخير الألفاظ العذبة، والأساليب الجميلة، والمعاني الرائعة، قصدًا إلى الوضوح والإفهام والإمتاع، ومن ورائهم الرواة يذيعون هذا الأدب

---

[1] مُستفاد من موقع الألوكة

قال منسق الكتاب: و يحسن أن يقال كذلك، أن البلاغة أن "يؤدى المعنى الجليل باللفظ الجزيل على صفة يظن الجاهل أنها في مستطاعه".

[2] قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي تأليف عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي ص169

المختار في البلاد، وينشرونه في القبائل، ويروونه في كل مكان للسامعين.[1]
ولو قرننا الغوص أكثر وبالتحديد بين أكناف القرشيين، قوم النبي ﷺ، فسنجد أنه نتيجةً لنفوذهم التجاري والسياسي والديني -نظرا لكونهم خُدّام الحرم المكي وعندهم تجتمع القبائل العربية من كل حدب وصوب للتجارة والحج- لن نستغرب إن اتسع كذلك نفوذهم اللغوي، فقد نمت لهجتهم وازدهرت وسادت اللهجاتِ الأخرى، فأصبحت لغة عامة للعرب جميعا واستعملتها القبائل المختلفة في نتاجها الأدبي الرفيع.[2]

وبالإضافة إلى ذلك، كان القرشيون خاصة من بين قبائل العرب -وبتأثير اجتماعات الحج والأسواق والحروب- أكثر القبائل ميلا إلى النقد اللغوي، فاقتبسوا من لهجات القبائل أعذبها ومن ألفاظهم أسهلها وأنصحها وأفصحها، وأخذوا يضيفون ذلك إلى لغتهم فزادت ثروة اللغة العدنانية القرشي، وقلدت القبائل الأخرى قريشا في ذلك، وأخذت عنها محاكية لها في لغتها، وذلك لمكانة قريش وإشرافها على هذه الأسواق، مما حدا بالشعراء الذين يريدون لشعرهم الذيوع أن يتحروا لهجتها المختارة الذائعة في إذاعة محامد قبائلهم وأمجادهم، فكان لذلك آثاره البعيدة في تهذيب اللغة العربية وتوحيدها وجمعها في لغة مختارة هي لغة قريش أفصح القبائل العربية التي نزل بها القرآن الكريم.[3]

3ـ الإعجاز البلاغي ونزول التحدي القرآني:

في ظِلّ هذه البيئة الأدبية الفاخرة أين بلغت اللغة العربية قمّة مجدها وعزّها وأين كانت اللغة هي عزّة العرب وميدان تفاخرهم وتنافسهم بل كانت كذلك سلاحا يقدر على تحطيم نفوس قبيلة كاملة فلا يملك حينها أشرافها إلا الإختفاء عن الأنظار مُداراةً للفضيحة!

في ظل كل هذا، يأتي محمدُ بن عبد الله ﷺ، في مكة قلب العرب النابض، ويتلو هذه الآيات على مسامعهم؛ يقول الله عزّ وجل في سورة الإسراء **{فل لئں اجتمعت الانس والجں على أں ياتوا بمثل هذا الفرءاں لا ياتوں بمثله ولو كاں بعضهم لبعض ظهيرا (88)}**، وقال أيضا في سورة الطور **{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (34)}**، وقال الطبري في تفسيره لهذه الآيات الكريمات:"وقوله (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: تقوّل محمد هذا القرآن وتخلَّقه, وقوله (بَلْ لا يُؤْمِنُونَ) يقول جلّ ثناؤه: كذبوا فيما قالوا من ذلك، بل لا يؤمنون فيصدّقوا بالحقّ الذي جاءهم من عند ربهم. وقوله (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) يقول: جلّ ثناؤه: فليأت قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله، فإنهم من أهل

[1] نفس المصدر السابق ص175 - 176
[2] اللّهجات العربية نشأةً وتطورًا للدكتور عبد الغفار حامد هلال ص85
[3] قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي تأليف عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي ص176 - 177

لسان محمد ﷺ، ولن يتعذر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد ﷺ إن كانوا صادقين في أن محمدا ﷺ تقوّله وتخلَّقه."اهـ من تفسير الطبري.

ولم يكتف القرآن بإعلان التحدي على هذا النحو فقط، بل زاد في استفزازهم والتحقير من تشغيباتهم الباطلة بأن خفّف عنهم التحدي ليصير كما هو مذكور في هذه الآية حيث يقول جلّ في عُلاه ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13)﴾ سورة هود.

يقول السعدي في تفسيره:"{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} أي: افترى محمد هذا القرآن؟ فأجابهم بقوله: {قُلْ} لهم {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أنه قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقا، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات."اهـ من تفسير السعدي.

لتأتي بعدها الضربة القاصمة التي مرّغت أنوفهم في الطين وهدَّت كبريائهم واعتزازهم بفصاحتهم بأن نزل التحدي من الإتيان بمثل القرآن كاملا إلى مجرّد أن يأتوا فقط بسورة واحدة مثله! يقول ربنا العظيم تعالى شأنه في سورة يونس ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)﴾، وكذلك أعاد عليهم هذا التحدّي في المدينة المنوّرة في سورة البقرة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ بل تجاوز الأمر معشر الإنس ليمسّ كذلك أمة الجن ويقرر القرآن عجزهم هم كذلك كما سبق وذكره في آية سورة الإسراء.

فسبحان الله أيُّ جرأةٍ كانت عند النبي ﷺ وهو يطرح على قومه تحدٍّ في عين ما يبرعون ويتقنون, وأيُّ جرأة كانت عنده وهو يخفف عنهم التحدّي من الإتيان بمثل القرآن مرورا بعشر سور وختاما بمجرّد سورة واحدة من مثله في أوضح صور الإهانة لهم والتحقير من اعتراضاتهم! وأيُّ ثقة كبيرة بالنفس كانت عندهﷺم وهو يقرر النتيجة مسبقا وأنهم لن يقدروا على الظفر بهذا التحدي لا حاضرًا ولا مستقبلاً! وهاهو الدكتور عبد الله دراز -رحمه الله- يعبّر عن دهشة غير المسلمين وهم يقرأون عن تاريخ وملابسات هذا التحدّي القرآني ويقول:" ألم يكن يخشى الرسول بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية فيهبوا لمنافسته؟ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يضع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالإصلاح والتهذيب كما كانوا يصنعون في نقد الشعر؟ ثم لو طوعت له نفسه ﷺ أن يُصدر هذا الحكم على أهل عصره أنهم يعجزون عن قبول تحدي القرآن،

فكيف يُصدره على الأجيال القادمة؟ إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجل إلا وهو يعلم أن الجميع سيفشل على مر العصور"[1]

نعم صدقت يا شيخ عبد الله فهذه المغامرة لن يُقدم عليها رجلٌ كذُاب مدّعي للنبوة إنما هي صادرة عن رجل يعلم جيدًا أن ما أُنزل عليه هو قطعًا كلام الله الذي لا ريب فيه ولا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه, وأنه رسولٌ من عند الله منزّل هذا الكتاب قد أدىّ ما عليه وبلّغ رسالة ربه من غير زيادة ولا نقصان.

4ـ لكن أولا: ما معنى "المثلية" التي طرحها القرآن في تحدّيه للعرب؟ ؟

قد يطرأ هذا الإشكال على المسلم قبل الكافر، وقد سميته بالإشكال لأنه ناتج طبيعي عن ضعف اللغة العربية في عصورنا المتأخرة وتأثرها بالواردات الخارجية، وإلا فإنّ **المثلية** المذكورة في الآيات لم تشكّل أي لبسٍ على عقول وأفهام العرب الأقحاح في زمن نزولها، وسيتبيّن ذلك بالاعتماد على مثال افتراضي نُخضعه لأداة السبر والتقسيم، بحيث نطرح كل الاحتمالات الواردة ونُقصي الباطل منها فلا تتبقّى لنا سوى الإجابة الصحيحة بإذن الله تعالى.

هب أن شاعرًا ما (ولنُسمّه أحمد) قد نظم قصيدة معيّنة وقد وجدناها قوية في بلاغتها وفصاحتها وجميلة في أسلوب كتابتها، فقررنا أن نأتي بمجموعة محترمة من الشعراء المتمكّنين وطلبنا منهم (تحديناهم) أن يكتبوا لنا قصيدة تُماثل القصيدة التي نظمها أحمد: هنا العقل البشري يُدرك جيدا أن المقصود من المثلية الموجودة في التحدي لن تخرج عن دائرة هذه الإحتمالات:

- الاحتمال الأول:

أن يُقصد بمصطلح **المثلية** المُطابقة والمُناسخة, أي أن ينسخ هؤلاء الشعراء القصيدة كما هي ويقولوا ها قد نفّذنا لكم تحدّيكم... وهذا طبعا لا يقول به عاقل فضلاً عن شاعر يحترم قامته الأدبية!

- الاحتمال الثاني:

أن ينظموا قصيدة لكن مع تقليدهم للنظم والأسلوب الأدبي الذي كتب به أحمد بل حتى أنهم سرقوا بعض الألفاظ التي استعملها في قصيدته، فهل بهذا التقليد ومحاولتهم محاكاة أسلوب أحمد في كتابته للقصيدة قد استطاعوا مماثلته؟ الإجابة: قطعا لا! فتقليدهم ومحاكاتهم للأسلوب والنظم الذي نظم به أحمد قصيدته هو اعترافٌ منهم بضعفهم أمامه وعُلوِّ كعبه فيما نظمه، فهم لم يستطيعوا تحدّيه ومماثلة قصيدته، إلّا عن طريق نسخ الأسلوب الذي اعتمده في نظمها وسرقة بعض ألفاظها، فأيّ إقرارٍ بالهزيمة أوضح من هذا؟!

[1] النبأ العظيم للدكتور عبد الله دراز رحمه الله ص44 - 45

❖ الاحتمال الثالث:

أن يقوموا بتأليف قصيدة مغايرةٍ تماما لما نظمه أحمد، بحيث لا تشبه قصيدته لا من حيث النظم والأسلوب الأدبي ولا حتى من حيث المصطلحات التي استعملها، ومع ذلك تكون قصيدتهم مضاهيةً مماثلةً لشعره من حيث البلاغة والفصاحة، هل يمكن حينئذ القول أنهم وُفّقوا في الفوز بهذا التحدي؟ الإجابة التي لن يجد العاقل مفرًّا من الإعتراف بها: نعم!

وهذا هو المعنى الوحيد والمتبقّي لمصطلح المثلية الوارد في آيات التحدّي والذي فهمه كل العرب الأقحاح الذين سمعوا هذه الآيات وهي تتلى على مسامعهم، ولم يتجرّأ أيُّ أحدٍ منهم على ممارسة التهريج البائس الذي مارسه زنادقة هذا العصر من سرقةٍ لألفاظٍ قرآنية خالصة (بل مرّات يسرقون آيةً بأكملها) ثمّ يقومون برصّ هذه الألفاظ ووضعها وفقًا للأسلوب الأدبي والنسق اللغوي الخاص بالقرآن نفسه! فبالله عليكم هل غابت هذه الأساليب السخيفة عن الوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة وغيرهم ممن كانت العربية هي مصدر فخره وعزّته حتى جاء صبية الكفر المُعاصر ممن لا يستطيع أن يؤلّف فقرة قصيرة خالية من الأخطاء النحوية؟!

يقول الإمام المفسر الطبري -رحمه الله- في تفسيره لآية البقرة (23):"فإن قال قائل: إنك ذكرتَ أن الله عنى بقوله "فأتوا بسورة من مثله": من مثل هذا القرآن، فهل للقرآن من مثل فيقال: ائتوا بسورة من مثله؟ قيل: إنه لم يعنِ به: ائتُوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باينَ بها سائرَ الكلام غيرَه، وإنما عنى: ائتوا بسورة من مثله في البيان، لأنّ القرآن أنزله الله بلسان عربيّ، فكلام العرب لا شك له مثلٌ في معنى العربية. فأمّا في المعنى الذي باين به القرآن سائرَ كلام المخلوقين، فلا مثلَ له من ذلك الوجه ولا نظيرَ ولا شبيه."اه من تفسير الطبري.

ويُوافقه على ذلك الدكتور عبد الله دراز -رحمه الله- وهو يُزيل اللّبس عن معنى المثلية في التحدي القرآني قائلا: "ذلك أننا حين نتحدى الناس بالقرآن لا نطالبهم أن يجيئونا بنفس صورته الكلامية: كلا، ذلك ما لا نطمع فيه، ولا ندعو المعارضين إليه، وإنما نطلب كلامًا أيًا كان نمطه ومنهاجه، على النحو الذي يحسنه المتكلم أيًا كانت فطرته ومزاجه، بحيث إذا قيس مع القرآن بمقياس الفضيلة البيانية حاذاه أو قاربه في ذلك المقياس وإن كان على غير صورته الخاصة. فالأمر الذي ندعوهم إلى التماثل أو المقاربة فيه هو هذا القدر الذي فيه يتنافس البلغاء، وفيه يتماثلون أو يتقاربون. وذلك غير المعارض والصور المعينة التي لابد من الاختلاف فيها بين متكلم ومتكلم.
فإن عَسُر عليك أن تفهم كيف تجيء المماثلة مع هذا الاختلاف ضربنا لك مثلاً: قومًا يستبقون إلى غاية محدودة وقد اتخذوا لذلك مجالاً واسعًا لا يزاحم بعضهم فيه بعضًا، ولا يضع أحدهم قدمه على موضع قدم صاحبه، بل جعل كل منهم يذهب في طريقه الخاص به موازيًا لقرنه في المبدأ والوجهة, ثم يكون منهم المُجَلِّي (السابق الأول) والمُصَلِّي (السابق الثاني) والمُقَفِّي (السابق الثالث) والتالي (السابق الرابع)[1]، ويكون منهم من لا حظ له في الرهان.

[1] هذه المصطلحات معروفٌ استعمالها في سباق الخيول

ويكون منهم المتكافئون المتعادلون. وهكذا تراهم وهم مختلفو المنازل يقع بينهم التماثل كما يقع بينهم التفاضل؛ بنسبة ما قطعه كل منهم من طريقه إلى الغاية المشتركة. فكذلك المتنافسون في حلبة البيان يعمد كل منهم إلى الغرض من الطريق التي يرضاها، وعلى الوجه الذي يستمليه من نفسه، ثم يقع بينهم التماثل أو التفاضل على قدر ما يوفون من حاجات البيان أو ينقصون منها، وإن اختلفت المذاهب التي انتحاها كل منهم."[1]

ويصف لنا الدكتور هيثم طلعت -حفظه الله- المهزلة التي يعيشها كُفّار آخر الزمان في موسوعته القيّمة قائلاً: "فالملحد يستخدم عبارات قرآنية خالصة وأساليب قرآنية حصرية، فهل هذا تحد للقرآن؟ الذي يريد تحدي القرآن عليه أن يأتي بنسق جديد كالذي جاء به القرآن، وليس مجرد التقليد المضحك: تخيل شخصًا يتحدى الموناليزا فيحضر نفس الموناليزا ويصبغ شعرها، ويقول لك: ها أنا تحدّيت موناليزا دافنشي! تخيل رد فعل دافنشي، سيسخر دافنشي من هذا الأسلوب السمج! إذا أردت تحدي القرآن، فأنت مطالب بنسق ثوري جديد في اللغة كالنسق الثوري الذي أحدثه القرآن، ولغة العرب شعر ونثر وقرآن. ولذلك توقف كفار العرب عن تحدي القرآن ومن تقدم منهم كمسيلمة الكذاب صار أضحوكة، فهذا الطرح السمج من بعض الملحدين المعاصرين دليل مستقل على إعجاز القرآن."[2]

وهكذا نصل إلى نتيجة حاسمة مفادها أن العرب الأقحاح لم يفهموا التحدّي القرآني بنفس الفهم المضحك الذي يحاول كفّار عصرنا الترويج له بين العوام وإلّا لكانوا أفحموا المسلمين وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم منذ العام الأول الذي طُرح فيه هذا التحدّي وأراحوا زنادقة اليوم من الفضائح التي يتخبّطون فيها! إنما مقصود التحدّي هو أن يتمكّن فطاحلة اللغة والبيان من الظّفر بأدنى درجاته والإتيان بسورةٍ واحدة (نصٍّ واحد) بحيث إذا وضعناها مع سورة قرآنية قصيرة كالكوثر على كفّتي ميزان البلاغة, تساوت الكفّتان وحدث بينهما التماثل المنشود.

5ـ باب إعجاز القرآن في النّظم والأسلوب الأدبي لمحمد رشيد رضا:

يُدرك جيّدًا أهل اللغة وكل من له ذوق أدبي رفيع أن الإعجاز اللغوي القرآني ليس محصورًا فقط في موضوع البلاغة وأنها ليست الوحيدة التي سحرت قلوب أساطين البيان عند سماعهم القرآن من فم النبي ﷺ، بل كذلك كان لنظم آياته وجمال أسلوبه الأدبي حصّته المعتبرة التي حاز عليها من عقولهم وقلوبهم.

[1] كتاب النبأ العظيم للشيخ عبد الله دراز ص118
[2] موسوعة بصائر ص326

يشرح لنا محمد رشيد رضا في تفسيره كُنْه هذا الإعجاز في أسلوب ونظم القرآن قائلاً: " ولعمري إن مسألة النظم والأسلوب لإحدى الكبر، وأعجب العجائب لمن فكر وأبصر، ولم يوفها أحد حقها، على كثرة ما بدءوا وأعادوا فيها، وما هو بنظم واحد ولا بأسلوب واحد، وإنما هو مائة أو أكثر: القرآن مائة وأربع عشرة سورة متفاوتة في الطول والقصر، من السبع الطول التي تزيد السورة فيه على المائة وعلى المائتين من الآيات، إلى السور المئين، إلى الوسطى من المفصل، إلى ما دونها من العشرات فالآحاد كالثلاث الآيات فما فوقها، وكل سورة منها تقرأ بالترتيل المشبه للتلحين، المعين على الفهم المفيد للتأثير، على اختلافها في الفواصل، وتفاوت آياتها في الطول والقصر، فمنها المؤلف من كلمة واحدة ومن كلمتين ومن ثلاث، ومنها المؤلف من سطر أو سطرين أو بضعة أسطر، ومنها المتفق في أكثر الفواصل أو كلها، ومنها المختلف في السورة الواحدة منها، وهي على ما فيها متشابه وغير متشابه في النظم، متشابهة كلها في مزج المعاني العالية بعضها ببعض، من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، وآياته في الأنفس والآفاق، والحكم والمواعظ والأمثال، وبيان البعث والمآل، ودار الأبرار ودار الفجار، والاعتبار بقصص الرسل والأقوام، وأحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام.

يقول قائل: إن أساليب جميع الفصحاء والبلغاء متفاوتة كذلك، لا يشبه أسلوب منها أسلوبا، ولا يستويان منظوما ولا منثورا، فمجرد اختلاف الأسلوب والنظم لا يصح أن يعد معجزا ونقول: من قال هذا فقد أبعد النجعة، وأوغل في مهامه الغفلة، فمهما تختلف منظومات الشعراء فلن تعدو بحور الشعر المنقولة عن المتقدمين، والتوشيحات والأزجال المعروفة عند المولدين، ومهما تختلف خطب الخطباء والمترسلين من الكتاب والمؤلفين في العلوم والشرائع والآداب فلن تعدو أنواع الكلام الأربعة التي بدأنا القول بها، ولا يشبه شيء من هذه ولا تلك نظم سورة من سور القرآن ولا أكثرها، ولكل منهم نظم وأسلوب خاص.

فإن شئت أن تشعر سمعك وذوقك بالفرق بين نظم الكلام البشري ونظم الكلام الإلهي، فائت بقارئ حسن الصوت يسمعك بعض أشعار المفلقين، وخطب المصاقع المفوهين، المتقدمين والمتأخرين، بكل ما يستطيع من نغم وتحسين، ثم ليتل عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والأسلوب كسورة النجم وسورة القمر وسورة الرحمن وسورة الواقعة وسورة الحديد - مثلا - ثم حكم ذوقك ووجدانك في الفرق بينها في أنفسها، ثم في الفرق بين كل منها وبين كلام البشر في كل أسلوب من أساليب بلغائهم، وتأثير كل من الكلامين في نفسك بعد اختلاف وقعه في سمعك.

بل تأمل المعنى الواحد من المعاني المكررة في القرآن، لأجل تقريرها في الأنفس ونقشها في الأذهان، كالاعتبار بأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم من مختصر ومطول، وافطن لاختلاف النظم والأساليب فيها، فمن المختصر ما في سور الذاريات والنجم والقمر والفجر، ومن المطول ما في سورة الأعراف والشعراء وطه، لعلك إن تدبرت هذا تشعر بالبون الشاسع بين كلام المخلوقين وكلام الخالق، وتحكم بهذا الضرب من الإعجاز حكما ضروريا وجدانيا لا تستطيع أن تدفعه عن نفسك، وإن عجزت عن بيانه بقولك.

ومن اللطائف البديعة التي يخالف بها نظم القرآن نظم كلام العرب من شعر ونثر: أنك ترى السور ذات النظم الخاص والفواصل المقفاة تأتي في بعضها فواصل غير مقفاة، فتزيدها حسنا وجمالا وتأثيرا في القلب، وتأتي في بعض آخر آيات مخالفة لسائر آيها في فواصلها وزنا وقافية، فترفع قدرها وتكسوها جلالة وتكسبها روعة وعظمة، وتجدد من نشاط القارئ وترهف من سمع المستمع، وكان ينبغي للخطباء والمترسلين أن يحاكوا هذا النوع من محاسنه، وإن كانوا يعجزون عن معارضة السورة في جملتها، أو الصعود إلى أفق بلاغتها، ومن أعجب هذه السور أوائل سور المفصل بل المفصل كله. قال شيخنا الأستاذ الإمام: كان المعقول أن يحدث القرآن في هذه اللغة من البلاغة في البيان فوق ما أحدثه بدرجات." [1]

6- من سيكون الحكم في هذا التحدّي؟

عندما تجد قطعة معدنية مرمية في الأرض فيُشتبه الأمر عليك أهي قطعة ذهبية حقيقية أم أنها فقط مزيّفة ومطلية باللون الذهبي مع الأخذ بعين الإعتبار أنك لا تفقه شيئا في ميدان التفريق بين المعادن النادرة ذات القيمة العالية وبين العادية منها, فماذا ستفعل وأين ستذهب؟؟.....أي عاقلٍ سيذهب مباشرة إلى المختصّين أهل الصنعة في هذا المجال وأعني بالقول هنا بائع المجوهرات الذي هو بمعرفته وخبرته سيفحص تلك القطعة المعدنية وسيحكم عليها هل هي ذات قيمة عالية وتستحق الشراء أم أنها مجرّد خردة من المعدن العادي.

وقِس على هذا المثال موضوع التحكيم في التحدّي القرآني, فكما سبق ونبّهنا فإن القرآن نزل في بيئةٍ وبين قومٍ أرقى ماعندهم وأفضل ما يتنافسون فيه هي لغتهم العربية, بل لا ننسى كذلك أنها لغتهم السليقة التي ينشأ الطفل عليها منذ اللحظة الأولى التي يعي فيها كلام من حوله من أقربائه ولا يكون في حاجةٍ إلى دخول المدارس والمعاهد حتى يتعلّمها كما يحدث في عصورنا المتأخّرة, بل إنك سترى أنه من اليسير جدًا في هذه البيئة العربية الخالصة أن تلتقي في كل قبيلة بشاعرٍ أو خطيبٍ أو شخص له كلتا المهارتين وله حاسة ذوقية أدبية رفيعة تُمكّنه من التفريق بين الكلام البليغ والأبلغ منه والفصيح والأفصح منه وبين الصواب في الكلام واللّحن فيه (أي الخطأ فيه) وبين ماهو شعرٌ وما هو نثرٌ.

يقول الجاحظ أحد أشهر أئمّة اللغة في التاريخ والمتوفى سنة 255هـ:" ونحن -أبقاك الله- إذ ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والإرجاز، ومن المنثور والإسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهدٌ

[1] تفسير المنار/ محمد رشيد رضا: تفسير الآية 23 من سورة البقرة
قال منسق هذا الكتاب: وليُحذَر من الرجل و كتبه، ففيه ميل في السمعيات إلى طريقة المعتزلة الجدد، وعلى رأسهم شيخه محمد عبده

صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنبذ القليل."[1]

قد أصبح من الجليّ للقراء أن من يكون حكمًا بين القرآن وبين بقية الكلام العربي (من نثر وشعر) هم أهل اللغة وأسيادها، ولا يتجادل اثنان في كون العرب الذين أُنزل بينهم القرآن هم أحق الناس بهذه التسمية.

7- ماذا كان ردّ فعل العرب على هذا التحدي القرآني سواءً كانت قريشًا أو غيرها من القبائل العربية التي عاصرت نزول آيات التحدّي؟

"فلم ينطق أحد منهم إلى يومنا هذا ببنت شفة، ولا أعرب عن موصوف أو صفة، وأظهر الكل العجز عن المعارضة في كل وقت وحين"[2]

وحُقّ للشيخ للألوسي -ولغيره من المنتسبين إلى الإسلام- الكلام بهذه الثقة، فقد كانت للعرب وعلى رأسهم قريش فرصة زمنية محترمة تقارب 23 سنة قبل فتح مكة على يد المسلمين، حيث كانت قريش لا يزال لها نفوذ على طُرق الحج والتجارة ولا تزال كذلك قبلةً للشعراء والبُلغاء -كما سبق وفصّلنا في هذا البحث-، من دون نسيان المنافقين واليهود الذين كانوا في المدينة وهم ماهم عليه من الخبث وحمل الحقد تجاه النبي ﷺ ورسالته.

فقد كان يكفي هؤلاء القوم مع اشتراكهم في العداوة تجاه النبي ﷺ أن يحشدوا أفضل ما أنجبت العرب من شعراءها وبُلغائها ويتلاحموا فيما بينهم من أجل الظّفر بأدنى درجات التحدّي القرآني وهي الإتيان بنصٍ واحدٍ فقط يُضاهي سورة قصيرة كسورة الكوثر في البلاغة وقوة البيان، وبذلك يكونوا قد هدموا الإسلام عن بكرة أبيه وأراحوا أنفسهم ومَن بعدهم من زنادقة العصور القادمة من هذا الذّل والشعور بالعجز أمام القرآن! لكنهم لم يقدروا ولن يقدروا وصفحات التاريخ بذلك عامرة، وإليكم بعض الشواهد التاريخة الداعمة لما سبق:

الشاهد الأول:

لو حقًّا استطاع فطاحلة العرب وأسياد البيان في ذاك الزمان أن يُحقّقوا شرط التحدي القرآني وتمكنّوا من تأليف نصٍ يُماثل ويُضاهي سورة واحدة قصيرة من سور القرآن من حيث البلاغة وقوة البيان لما سكتوا لحظةً واحدة ولما

---

[1] البيان والتبيين للجاحظ الجزء 3 ص21
[2] الدلائل العقلية, الألوسي. مخطوط

تردّدوا في إذاعة خبر هذا الانتصار العظيم بين قبائل الجزيرة العربية لينتشر بينهم انتشار النار في الهشيم، وكانت ستكون تبِعاته:

❖ ردة أتباع النبي ﷺ سواءٌ في العهد المكيّ أو المدني:

وذلك أن انتصار مشركي العرب في التحدّي القرآني لهو بالتأكيد برهانٌ قاطعٌ على أنّ هذا القرآن ليس كلام الله الخالق العظيم وأنه مجرّد كلام بشري من تأليف النبي ﷺ لا أكثر، وحينها نقول أنه من غير المعقول أن يصبر الصحابة على التعذيب والتقتيل (الذي تعرّضوا له في العهد المكّي) إلى جانب أحكام الإسلام الصارمة التي قيّدت شهواتهم (والتي نزلت عليهم معظمها في العهد المدني) فحرّمت عليهم الخمر والزنى وأكل الربا والرشاوي والقمار، وكذلك الفرائض التي يشق عادةً على النفس الآدمية الالتزام بها كالزكاة على الأغنياء والجهاد على كل مستطيعٍ بالغ وصوم شهر رمضان كاملاً والتزام إقامة خمس صلواتٍ في وقتها خاصة منها ما يكون في الأوقات التي يشتدُّ فيها سلطان النوم على القلوب كصلاتي العشاء والفجر، والحجاب الكامل للنساء وغيرها من تشريعات وفرائض الإسلام المعلومة لدى الجميع! لا يمكن تخيّلهم وهم يتحمّلون هذا الأذى الجسدي والنفسي إلى جانب وجوب تنفيذ الشرائع الإسلامية والإلتزام بها وهي صادرةٌ عن رجلٍ قد ثبُت عندهم بالدليل الواضح كذبه ودجله (حاشاه! بأبي وأمي هو ﷺ)!

❖ رفض القبائل العربية الدخول في دينه ﷺ وتكذيبه في نبوّته:

إذ لا تتوقع من أقوامٍ اشتهروا بالتعصّب والحميّة تجاه موروثات آبائهم وأجدادهم الدينية والإجتماعية, لا تنتظر منهم أن يتخلوا عنها وينبذوها وراء ظهورهم من أجل إتباع ملّة رجلٍ قد تواتر لديهم اليقين مسبقًا (بلوغهم خبر إنهزامه في التحدّي القرآني) في كونه كذّابًا مدّعيا للنبوة زورًا!

والنتيجة المحتومة مما سبق هي نهاية الإسلام ودفنه من قبل أن تقوم له أية قائمة في أرجاء الجزيرة العربية أو خارج حدودها، ولن يصلنا نحن أبناء هذا العصر عن الإسلام ورسوله سوى بضع حكايا وأساطير مثله مثل أي جماعة دينية قد انقرضت بانقراض الحضارة التي كانت تأويها... فهل تحققت هذه التّبعات الحتمية الناتجة عن فوز العرب بتحدّي القرآن أم أن التاريخ والواقع يقرران عكس ذلك كلّه؟!!

الشاهد الثاني:

من المعروف تاريخيا أنه بعد هجرة الرسول ﷺ من مكّة إلى المدينة لم يجد في انتظاره القبائل العربية (التي تعد الفئة المهيمنة على المدينة) فقط بل كان هناك أيضًا تواجد لليهود الساكنين في أرجاءها والذين تمثّلوا في ثلاثة قبائل معروفة هناك: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النّضير.

ومعروفٌ كذلك أنه حتى بعد أن أبرم معهم النبي ﷺ الوثيقة المشهورة بوثيقة المدينة إلا أن مكائدهم بالمسلمين وبنبيّهم الناجمة عن خبث سريرتهم وحقدهم لم تتوقف بل زادت الوتيرة إلى الخيانة العظمى والتآمر مع العدو الخارجي (مشركي العرب) ضد أهل الجوار من المسلمين، ما أدّى إلى التعجيل بإنزال العقوبات المناسبة عليهم، فقُتل منهم من قُتل وهم بنو قريظة والبقية الذين هم الأغلبية طُرِدوا ونُفوا إلى الشام في عهد النبي ﷺ وهم بنو قينُقاع والنصف الأول من بني النضير، ثم في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهم يهود خيبر الذين كان قد انضم إليهم سابقا النصف الآخر من بني النضير.

الشاهد مما سبق أنه لو حقًا استطاع العرب في ذلك الزمان خوض التحدّي القرآني والفوز فيه, لوجدنا هذا الحدث الكبير قد تناقله اليهود الذين طُردوا إلى الشام فيما بينهم إما عن طريق تدوينه في صحفهم أو توريثه لأبنائهم مشافهةً كما اعتادوا توارث قصصهم, خاصة مع الأخذ بعين الاعتبار أنه ثابتٌ تاريخيًّا تواصلهم مع مشركي مكّة وتآمرهم معهم, بل لوجدناهم كذلك قد شاركوه مع النصارى المجاورين لهم الذين سيقومون بدورهم بحفظ وقوعه وتدوينه في سجلّاتهم التاريخية......والسؤال المحوري الذي يطرح نفسه:

- ❖ لماذا لا نجد هذا الحدث التاريخي الضخم -إحراج العرب للنبي ﷺ والانتصار عليه في التحدّي القرآني- مدوّنًا في كتب ومخطوطات اليهود والنصاري الذين يملكون كل الحوافز لفعل ذلك كحقدهم الشديد على الإسلام وأهله خاصة اليهود وما أصابهم من المسلمين (نتيجةً لغدرهم وخيانتهم)؟!
- ❖ لماذا لا نجدهم قد توارثوا هذا الحدث العظيم جيلاً بعد جيل عن طريق التواتر الشفهي كما يتناقلون قصصهم الشعبية وأساطيرهم بالرغم من أن الدافع هنا أهمّ وأكبر كما سبق وأشرنا؟!

الإجابة بمنتهى البساطة: أن مشركي العرب لم يقدروا أساسًا على خوض هذا التحدّي، وبالتالي لا يوجد لدى اليهود ولا النصارى شيء جديد ذو أهمية لينقلوه لنا!

الشاهد الثالث:

كون المسلمين -بالرغم من أنهم استطاعوا طمس كل[1] الأشعار التي تهجو النبي ﷺ- عاجزين عن طمس حقيقة هجاء النبي ﷺ.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدل على أنه حتى لو افترضنا جدلاً وتنزّلاً أن المسلمين قد طمسوا كل النصوص الشاهدة على استجابة العرب المشركين لتحدّي القرآن ومحاولاتهم من أجل مضاهاته فإنهم قطعًا لن يقدروا على حذف الحادثة من ذاكرة الناس الذين عاصروها وشهدوها وأورثوها لمن بعدهم, فهي من باب أولى حدثٌ جللٌ أكبر من هجاء العرب للنبي ﷺ!

- ❖ فلماذا لا نجد أيَّ أثرٍ لهذا الحدث العظيم في ذاكرة عامّة المسلمين ولو على شكل مرويّات آحاد؟!

[1] قال منسق هذا الكتاب: ظاهر بعض كتب المغازي أن بعض هذا الهجاء حفظ إلى زمن تلك الكتب (أواخر عصر القرون المفضلة) والعلم لله

❖ لماذا لم ينقله إلينا المؤرّخون المسلمون ولو على سبيل الكذب والتدليس كأن يدّعوا أنه بالفعل حاول العرب المشركون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خوض التحدّي ومماثلة القرآن إلا أن محاولاتهم كانت ضعيفة وفاشلة؟!

الإجابة مجددًا وكما قرّرها الألوسي: "فلم ينطق أحد منهم إلى يومنا هذا ببنت شفة"!

8ـ الخلاصة النهائية مما سبق:

بعدما ثبت لدينا بما لا يدع مجالاً للشك عجز أسياد البلاغة والفصاحة من مشركي العرب عن مجرّد خوض التحدّي القرآني فضلاً عن الفوز بأدنى درجاته، وذلك بالرغم من استفزاز القرآن الشديد لحميّتهم الأدبية وإحراجهم في أعزّ وأكثر ما يبرعون فيه، ألا وهو صنعة الكلام البليغ، دون أن ننسى توبيخهم والتسفيه من آلهتهم.

وبعدما وعَينا جيدًا مسألة كون العرب الذين أُنزل القرآن بينهم هم القدوة في البيان وهم من يُضرب بهم المثل في حسن البلاغة وجمال الأداء وإليهم المُنتهى في هذا المجال, بالتالي فإن عجزهم وفشلهم في خوض التحدّي القرآني والظّفر به هو بالضرورة العقلية عجزٌ لكل ما عداهم من العرب الذين جاءوا من بعدهم وصولاً لعصورنا المتأخرة والذين هم قطعًا أقلُّ منهم بلاغةً وفصاحةً وبيانًا, وذلك طِبقًا لقاعدة قياس الأولى.

فإننا الآن أمام دليلٍ يقيني لكل عاقلٍ منصف على أن القرآن حقًا كلام الله سبحانه وتعالى الذي لن يقدر على مُماثلته ومُنافسته كلام أيًّا كان من المخلوقين وعلى صدق نبوّته ﷺ.

9ـ شهادات غير المسلمين على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم:

شهادات مشركي العرب:

وليس هناك أقوى وأصدق من شهادة أهل الصنعة أنفسهم فنجد من اعترافاتهم الآتي:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن: "الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً! قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن مني، والله، ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته! قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: (هذا سحر يؤثر) يأثره عن غيره، فنزلت: ذرني ومن خلقت وحيدًا."[1]

[1] قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وعندنا كذلك قصّة عتبة بن ربيعة الذي أرسلته قريشًا لمفاوضة النبي ﷺ فقرأ عليه ﷺ القرآن، فقَامَ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ ، قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الوَلِيدِ ؟ فَقَالَ لَهُمْ: ورَائِي أَنِّي سَمِعْتُ قَوْلاً ، وَاللهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَمَا دَرَيْتُ مَا أَرُدُّ عَلَيْهِ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ ، وَلَا بِالسِّحْرِ ، وَلَا بِالْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي واجْعَلُوهَا بِي ، وفِي رِوَايَةٍ : أَطِيعُونِي فِي هَذَا اليَوْمِ وَاعْصُونِي فِيمَا بَعْدَهُ، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ العَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ : هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ.[1]

ومنه ما جاء في حديث أبي ذرّ في سبب إسلامه حيث روى أنه قال: قال لي أخي أنيس: إن لي حاجة إلى مكة، فانطلق فرات، فقلت: ما حبسك ؟ قال: لقيت رجلاً [يقول] إن الله تعالى أرسله. فقلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر، ساحر، كاهن. قال أبو ذرّ: وكان أنيس أحد الشعراء، قال: والله لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.[2]

وكذلك قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي لما قدم مكة فحذّرته قريشٌ من سماع القرآن وقالوا له: إنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئًا! قال الطفيل: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه حتى حشوت في أذني قطنا خوفًا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه. لكن الله أبى إلا أن يُسْمِعَه وهو في الطواف بعض القرآن؛ فقال لنفسه: "وا ثكل أمي! والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحا تركته. فجلس إلى النبي يستمع من القرآن، ثم ما لبث أن أسلم.[3]

وهاهو ذا جبير بن مطعم يحكي ماوقع له عند سماع النبي ﷺ يقرأ سورة الطور، وكان جبير آنذاك لا يزال مشركًا، يقول:" سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِه الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور: 35 - 37]، قالَ: كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ."[4]

[1] أخرج قصة إرسال قريش عتبة بن ربيعة إلى رَسُول اللَّه ﷺ ليحاوره: ابن إسحاق في -السيرة (١/٣٣٠) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٠٤ - ٢٠٥) وحسن إسنادها الألباني في تحقيقه لفقه السيرة لمحمد الغزالي

[2] هذا الجزء مأخوذ من رواية طويلة موجودة في صحيح مسلم, حديث رقم 2473

[3] السيرة لابن هشام ص382

[4] الراوي : جبير بن مطعم |المحدث : البخاري |المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم 4854 :خلاصة حكم المحدث : صحيح

وإليكم هذا التصريح المثير لأحد فحول الشعراء وأصحاب المعلّقات في الجاهلية والذي أسلم لمّا سمع القرآن واستغنى به عن شعره ألا وهو لبيد -رضي الله عنه-؛ وقد كان من أخباره أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامله بالكوفة: سل لبيدًا والأغلب [شاعر آخر] ما أحدثا من الشعر في الإسلام؟ فقال لبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران. فزاد عمر في عطائه [والعطاء: هو حق وفريضة كانت تفرض للمسلمين في بيت المال حسب مراتبهم، كالرواتب اليوم] فبلغ به ألفين.[1]

شهادات المستشرقين:

تقول المستشرقة (لورا فيشيا فاغليري): "كيف من الممكن أن يكون هذا الكتاب الرائع عمل محمد العربي الأمي الذي لم ينظم طول حياته سوى بيتين أو ثلاثة، ولا ينم أي منها عن أدنى موهبة شعرية ؟!"[2]

وأضاف المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن: "القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمدًا قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة -أي القرآن- لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية "[3]

وأقر كذلك المستشرق (ريجي بلاشير) بعلو بلاغة القرآن وإعجازه فقال: "إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضًا ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر، تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجّلته من التحف "[4]

أما المستشرق جوزيف شارل ماردروس -الذي كلّفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسيتان بترجمة اثنتين وستين من السور الطوال في القرآن- فإنّه يُصرّح في مقدمة ترجمته: "أما أسلوب القرآن فهو الأسلوب الخاص بالله. وبما أن الأسلوب يمثل جوهر الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب؛ فلا يمكن أن يكون هذا الأسلوب إلّا إلهيا. والحق الواقع هو أن أكثر الكتاب شكا وارتيابًا قد خضعوا لسلطان تأثيره. وإن سلطانه على الثلاثمائة مليون مسلم المنتشرين على سطح المعمورة لبالغٌ الحد الذي جعل أجانب المنصرين يعترفون بالإجماع بعدم إمكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين إلى الآن... ذلك أن هذا الأسلوب الذي طرق في أول عهده آذان البدو كان نثرا جد طريف، كامل الروعة، يفيض في اتساق نغم ونسق مسجعًا، لفعله أثر عميق في نفس كل سامع يفقه العربية. لذلك كان من الجهد الضائع غير المثمر أن يحاول الإنسان أداء تأثير هذا النثر البديع بلغة أخرى، وخاصة

[1] طبقات فحول الشعراء 135 , الإصابة 4/6
[2] لورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ص 57
[3] يوميات مسلم ألماني د. مراد هوفمان، ص 122
[4] بلاشير، القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، ص102-103

الفرنسية الضيقة، والصلبة، والشديدة وزد على ذلك أن اللغة الفرنسية - مثلها جميع اللغات العصرية- ليست لغة دينية، وما استعملت قط للتعبير عن الألوهية "[1]

ولدينا كذلك القصّة الطريفة التي ذكرها الأديب المصري كامل كيلاني فيما روي من ذكرياته:" كنت مع الأستاذ «فنكل» وهو من المستشرقين، وكانت بيني وبينه صلات أدبية وثيقة، وكان يأخذ برأيي في كل المشكلات التي تقابله في الأدب، لما يعتقده في من الصراحة، ففي ذات يوم همس في أذني وقال: خبرني عن رأيك بصراحتك المعهودة أممن يعتقدون إعجاز القرآن أنت؟ أم لعلك تجاري جمهور المسلمين الذين يتلقون ذلك كابرا عن كابر، وابتسم ابتسامة كل معانيها لا تخفى على أحد، وهو يحسب أنه ألقى سهما لا سبيل إلى دفعه، فابتسمت له كما ابتسم لي...

- قلت: لكي تحكم على بلاغة أسلوب بعينه يجب أن تحاول أن تكتب مثله أو تقلده، فلنحاول ليظهر لنا أنحن قادرون أم عاجزون عن محاكاته؟

- وقلت: فلنجرب مثلا أن نعبر عن سعة جهنم فما نحن قائلون؟ فأمسك بالقلم، وأمسكت به فكتبنا نحو عشرين جملة متغايرة الأسلوب يعبر بها عن هذا المعنى.

- فقلت مبتسما ابتسامة الظافر الواثق: الآن تتجلى لك بلاغة القرآن بعد أن حاولنا أن نحاكيه في هذا المعنى.

- فقال: هل أدّى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما أديناه؟

- فقلت: لقد كنا أطفالا في تأديته!

- فقال مدهوشا: وماذا قال؟

- قلت: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} [ق: 30]

فصعق أو كاد، وفتح فاه كالأبله أمام هذه البلاغة المعجزة، وقال: صدقت! نعم صدقت! إنه كلام الله"[2]

ونختم شهادات مستشرقي النصاري بما اعترف به الشاعر النصراني أمين نخلة صاحب كتاب (ذيل الأعلام) والذي أُنتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية، حيث كتب يقول:"ما قرأت في القرآن قط وتلقتني تلك الفصاحة من كل جهة، وشهدت ذلك الإعجاز الذي يطبق العقل، إلا صحت بنفسي: انجي ويحك، فإنني على دين النصرانية"[3]

---

[1] **Joseph Charles Victor Mardrus, Le Koran qui est la Guidance et le Diffeirenciateur: Traduction litteirale et complete des Sourates Essentielles (Paris: Eugene Fasquelle, 1926), pp.19-20**

والترجمة الأصلية منقولة من كتاب "الوحي المحمدي" لرشيد رضا ص21-22 (بتصرف)

[2] عن عبد العظيم عبد العزيز سبيع، ولماذا أكون مسلما ؟ (القاهرة: دار الاعتصام، 1987م) ، ص 386 – 387

[3] أمين نخلة: في الهواء الطلق....تذكارات ونجاوى

10ـ أمثلة عن بلاغة وفصاحة القرآن الكريم في سورة واحدة منه "سورة الكوثر":

يقول الدكتور مصطفى مسلم أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن قوله تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر}:

- دل على عطية كثيرة مسندة إلى معط كبير، ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده، وأراد بالكوثر الخير الكثير، ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمته، من غير ما وعد به الله وأعطاه في الدارين، من مزايا التعظيم، والتقديم، والثواب ما لم يعرفه إلا الله، وقيل إن الكوثر ما اختص به من النهر الذي ماؤه أحلى من العسل وعلى حافاته أواني الذهب والفضة كعدد النجوم.
- أنه جمع ضمير المتكلم ليشعر بعظم الربوبية، فالعطاء يتناسب مع مقام الربوبية المشار إليها بضمير التعظيم.
- أنه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية وتحقيق.
- أنه صدر الجملة بحرف التوكيد الجاري مجرى القسم.
- أنه أورد الفعل الماضي دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة، ودلالة على أن التوقع من سيب[1] الكريم في حكم الواقع.
- جاء بالكوثر محذوف الموصوف، لأن المثبت ليس فيه ما في المحذوف من فرط الإيهام والشياع والتناول على طريق الاتساع، لذا وردت الأقوال الكثيرة في تفسير الكوثر، فمن قائل نهر ومن قائل الأتباع ومن قائل الذكر...والكوثر يشمل كل ذلك ويزيد، فهو الخير الكثير الموهوب من الرب العظيم.
- اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة (على وزن فوعل).
- أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروفة بالاستغراق لتكون لما يوصف بها شاملة، وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة.
- وفاء التعقيب في الآية الثانية مستفادة من معنى التسبب المعنيين:[جعل الإنعام الكثير سببًا للقيام بشكر المنعم وعبادته، وجعله لترك المبالاة بقولة العدو] فإن سبب نزول هذه السورة ما روي أن العاص بن وائل قال إن محمدًا صنبور -أي لا عقب له- فشق ذلك على النبيﷺ فأنزلت هذه السورة.
- قصده بالأمر التعريض بذكر العاص وأشباهه ممن كانت عبادته ونحره لغير الله.
- تثبيت قدمي الرسول ﷺ على الصراط المستقيم وإخلاصه العبادة لوجهه الكريم.

---

[1] السيب : العطاء. انظر لسان العرب ج 1 ص 477 مادة (سيب)

- أشار بهاتين العبادتين إلى نوعي العبادات: الأعمال البدنية والصلاة قوامها، والمالية ونحر البدن ذروة سنامها، للتنبيه على ما للرسول ﷺ من الاختصاص في الصلاة التي جعلت فيها قرة عينه، ونحر الإبل التي كان لا يجارى فيه ، فقد روي أنه أهدى مائة بدنة فيها جمل في أنفه برة من ذهب
- حذف اللام الأخرى لدلالة الأولى عليها. فلم يقل وانحر له أو لربك.
- مراعاة حق السجع الذي هو من جملة صفة البديع إذا ساقه قائله مساقًا مطبوعًا بعيدا عن التكلّف

أما قوله {لربّك} ففيه لطيفتان:

- وروده على طريقة الإلتفات التي هي (أُمٌّ) في علم البلاغة
- صرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ المظهر وفيه إظهار لكبرياء شأنه واثباته لعزّ سلطانه.
- علم بهذا أن من حقوق الله التي تعبّد العباد بها أنه ربهم ومالكهم وعرّض بترك التماس العطاء من عبد مربوب ترك عبادة ربّه.

وفي الآية الثالثة:

- علل الأمر بالإقبال على شأنه وترك الاحتفال بشانئيه على سبيل الاستئناف الذي هو حسن الموقع، وقد كثرت في التنزيل مواقعه
- ويتجه أن نجعلها جملة الاعتراض مرسلة إرسال الحكمة الخاتمة والاعتراض كقوله تعالى {إن خير من استاجرت الفوى الامين} [القصص26] وعني بالشانئ العاص بن وائل.
- إنما لم يسمه باسمه ليتناول كل من كان في مثل حاله.
- صدر الجملة بحرف التوكيد الجاري مجري القسم وعبر عنه بالاسم الذي فيه دلالة على أنه لم يتوجه بقلبه إلى الصدق، ولم يقصد بلسانه الإفصاح عن الحق بل نطق بالشنان الذي هو قرين البغي والحسد، وعين البغضاء، ولذلك وسمه بما ينبئ عن الحقد.
- جعل الخبر معرفة وهو (الأبتر) والشانئ كذلك، ليعلم أنه المعروف لدى الناس يقال له الصنبور."

اهـ من كلام الدكتور مصطفى مسلم جزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.[1]

[1] مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم ص130-133

1ـ ما الرد على من يتهم القرآن بوجود أخطاء نحوية فيه؟ ؟

هذه الشبهة (إن صح تسميتها بالشبهة) هي عُصارة البؤس والسذاجة اللتّان تقطران من هؤلاء الزنادقة المعاصرين, بل مرّات أراجع نفسي حول مسألة أخذها على محمل الجد من عدمها, لذلك بدل تضييع وقتي ووقت القارئ المحترم بالرد على كل خطئ نحوي مزعوم من طرفهم بشكلٍ تفصيلي, سأقوم بنقل ردٍّ تأصيلي يهدم هذه الفرية السخيفة من جذورها وينسفها نسفًا بحيث لا يتجرّأ بعدها أي شخص منهم يحترم ذاته ولو قليلاً على التصريح بهذه الشبهة إلا إذا كان مرتزقًا مدفوع الأجر لتشكيك العوام البسطاء في دينهم.

كتب د. أنس محمد الغنام في موقع الألوكة مقالاً يحتوي ردًّا تأصيليا يكشف عوار شبهة وجود أخطاء نحوية في القرآن الكريم قائلا:

" من الشُّبهات التي دائمًا ما يردِّدها الملحدون والطاعنون في القرآن الكريم - أن القرآن الكريم فيه أخطاء لغوية، وأن هذه الأخطاء تعد دليلاً على أنه ليس وحيًا من عند الله عز وجل، وإنما هو من تأليف بشر؛ لذلك وردت فيه هذه الأخطاء، ويستدلون على ذلك ببعض الآيات التي خالفَت المألوف من قواعد اللغة العربية، والمشهور من قوانينها، وهذه المخالفة ليست من قبيل الأخطاء كما يتوهَّم هؤلاء الطاعنون، وإنما هناك قواعدُ مشهورة للغة، معروفة لدى كثير من المتحدثين بها، وقواعد أخرى أقل شهرة، ولا يكاد يعرفها إلا المتخصصون من علماء اللغة والنحو والصرف والبلاغة، فإذا ما جاءت بعضُ الآيات مخالفة لهذا المشهور، فإنهم يسارعون إلى تخطئتها، مع أنها في الحقيقة لا تخالف قواعدَ اللغة العربية الأصيلة، وما أوقَعهم في ذلك الافتراء إلا جهلُهم بهذه القواعد، وعدمُ علمهم بها، بالإضافة إلى حقْدهم على القرآن الكريم وكيدهم له، الذي جعلهم يسارعون إلى رمْيه بهذه الفِرية الظالمة، اتباعًا لهوى نفوسهم وحقد قلوبهم.

والرد على هذه الشبهة وبيان زيفها من وجوه:

الأول: أن القرآن الكريم هو المؤسس الأول لقواعد اللغة العربية، وهو الأصل الأصيل الذي ارتكن عليه علماء اللغة في استنباط هذه القواعد، والاحتجاج لها، كما أنهم جعلوه قبل الشعر الجاهلي في الاحتجاج به على اللغة وتأسيس أحكامها، قال الفراء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 7]: "والكتاب أعربُ وأقوى في

الحجة من الشِّعر"؛ [معاني القرآن 14/1]، وقال السيوطي: "أما القرآن فكل ما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاجُ به في العربية، سواء أكان متواترًا، أم آحادًا، أم شاذًّا، وقد أطبق الناسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معلومًا، بل ولو خالفته يُحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يَجُزِ القياس عليه، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه، نحو: استحوذ، ويأبى، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافًا بين النحاة"؛ [الاقتراح للسيوطي ص 67، 68].

إذا كل ما يرد في القرآن الكريم يحتج به علماء اللغة، ويعدونه من القواعد الصحيحة لها، فالقرآن هو المعيار الحاكم على قواعد اللغة، فما وافقه من قواعد فهو صحيح وما خالفه فهو خطأ، فكيف يُعقَلُ إذًا أن نجعل القرآن الكريم مخالفًا لقواعد اللغة، مخطئًا فيها، مع أن وجود القواعد فيه أصلاً دليلٌ على صحتها، لو أن هناك معيارًا أعلى من القرآن الكريم نتحاكم إليه في قواعد اللغة، لصحَّ أن نقيس القرآن الكريم بالنسبة لهذا المعيار، وبالتالي نحكم بخطأ القرآن الكريم إذا خالف هذا المعيار، فما بالك والقرآن هو المعيار الأساسي والأصيل الذي نحكُم من خلاله على قواعد اللغة، والذي من خلاله أيضًا استنبط علماء اللغة هذه القواعد وضمنوها كتبهم حتى وصلت إلينا، فمثلاً لو قلنا: إن المتر يساوي مائة سنتيمتر، فهل يعقل أن أقول أن هذا المقياس خاطئ، والمفروض أن يكون المتر تسعين سنتيمتر؟ هذا غير مقبول منطقيًّا؛ لأن المتر اتفق أصحاب المقاييس من سائر أهل الأرض على أنه مائة سنتيمتر، وجعلوه مقياسًا يقيسون به الأطوال، فكذلك القرآن اتفق علماء اللغة على أنه المعيار الحاكم على اللغة، وما دام هو المعيار إذًا كل ما فيه صحيح متوافق مع قواعد اللغة وأحكامها.

الثاني: لو كان هناك أخطاء لغوية في القرآن الكريم، لعَرَفها كفارُ مكة، وتنبهوا إليها، وشنَّعوا بها على النبي ﷺ، مع العلم بأن أهل مكة من العرب الخُلَّص الذين يُحتج بلغتهم، ولكن هذا لم يحدث، فكل الافتراءات والأكاذيب التي رموا بها النبي ﷺ قد وصلت إلينا عن طريق ذكرها في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، من وصفه بالكذب والجنون والكهانة، وأن هذا القرآن يعلمه إياه بشر، وأنه أساطير الأولين، إلى غير ذلك من هذه الافتراءات والأكاذيب، ومع ذلك كله لم يرد مطلقًا أنهم رموا القرآن الكريم بأنه يحتوى على أخطاء لغوية، وهذا يدل على أنهم لم يروا فيه هذه الأخطاء المزعومة؛ لأنهم أهل اللغة، ولو وجدوا من ذلك شيئًا لشنَّعوا به على النبي ﷺ، بل ولأبطَلوا بها رسالته من أساسها؛ لأن وجود هذه الأخطاء يعد أيسرَ سبيلٍ يوهنون بها هذه الرسالة، ويُضعفونها في نفوس تابعيها، بدل تجشُّم الصعاب في سبيل محاربتها، وبذل الغالي والنفيس من أموالهم ودمائهم وأبنائهم في سبيل الإجهاز عليها، ولكن لَما لم يوجد شيءٌ من هذا مطلقًا على لسان قريش، دلَّ ذلك على عدم وجود هذه الأخطاء المزعومة، وأنه لا وجود لها إلا في عقول هؤلاء الطاعنين والملحدين.

الثالث: لو كان في القرآن أخطاء لغوية بالفعل لتنبَّه إليها الصحابة، وهم يقرؤون القرآن الكريم، ولأثارَت عندهم بعض الإشكاليات، ولسألوا النبي ﷺ، والسنة النبوية مليئة بأخبار الصحابة وهم يسألون النبي ﷺ عما أشكَل

عليهم من أمر دينهم، وما وقع بينهم من تساؤلات حول بعض آيات القرآن الكريم، وخاصة فيما يتعلق باختلاف قراءاته، ولم يصل إلينا خبرٌ واحد فيه استشكال لأي أحد من الصحابة عن أي خطأ في لغة القرآن الكريم، مع أنهم يحفظون القرآن عن ظهر قلبٍ، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وخاصة في صلواتهم، فهل يُعقل مع طول قراءتهم للقرآن الكريم، وكثرة معايشتهم لآياته، ألا يستشكلوا ولو آية واحدة يسألون عنها النبي ﷺ لماذا وردت هكذا، وهل فيها خطأ أم لا؟ إن هذا يدل على عدم وقوع أخطاء أصلاً، لا كما يزعم هؤلاء الكذابون الأفاكون.

الرابع: لو كان هناك أخطاء لغوية في القرآن الكريم، لعرفها علماء اللغة الأفذاذ، من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، والكسائي، والفراء، والأخفش وغيرهم، فما هم علماء اللغة، ومؤسسو قواعدها في كتبهم، لم يذكروا مطلقًا أن هناك أخطاء في لغة القرآن الكريم، فكيف يَخفى عليهم ذلك، ثم يأتي أناس لا يستطيعون أن يتكلموا لغة فصيحة صحيحة، أو يقيموا كلامًا موزونًا على قواعد اللغة وأحكامها، ليقولوا: إن القرآن الكريم مليء بالأخطاء اللغوية والنحوية؟ هذا عبث ما بعده عبث، وهو إلى الجنون أقرب، هل يمكن لإنسان لا يفقه في الطب شيئًا، ولم يدرس علومه، ولم يعرف قوانينه، أن يأتي ليرمي أكابر الأطباء بأنه أخطأ في شيء يتعلق بالطب، أو خفِي عليه شيءٌ من علومه، بينما هو قد علمه، وتوصل إليه؟ هذا في حكم العقل والمنطق غير مقبول، فكذلك هؤلاء الطاعنون غير متخصصين في لغة العرب، ولهجاتها، ولم يحيطوا علمًا بأكثر قواعدها، ومع ذلك يتهجمون على القرآن الكريم برمْيه بهذه الفرية الظالمة، ويتهجمون على علماء اللغة بأنهم قد خفِيت عليهم هذه الأخطاء، بينما هم قد عرفوها، فأي عقل يصدق هذا الكلام، ويقبل هذا الزعم؟

الخامس: لو افترضنا جدلاً أن النبي ﷺ هو من ألف القرآن الكريم (وحاشاه)، كما يريد هؤلاء الطاعنون أن يصلو إليه، ويرمُوا النبي ﷺ، حتى ولو افترضنا هذا الفرض، فإنه لا يعد دليلاً على وقوع أخطاء لغوية في القرآن الكريم؛ لأن النبي ﷺ من العرب الخُلَّص الذين يُحتج بلغتهم، شأنه شأن شعراء الجاهلية أمثال عنترة بن شداد وامرئ القيس وطرفة بن العبد وغيرهم، وكذلك الشعراء المخضرمون الذي أدركوا الجاهلية والإسلام أمثال لبيد بن ربيعة، والخنساء، وحسان بن ثابت وغيرهم، فكل هؤلاء من عصور الاحتجاج الذين يُحتج بلغتهم وأشعارهم، وكان الرسول ﷺ في هذا العصر، فكما يُحتج بلغة هؤلاء يُحتج أيضًا بلغته، لذا كل ما يأتي على لسانه هو لغة عربية أصيلة يحتج بها، ولا يتصور وقوع أخطاء فيها، وبالتالي القرآن الكريم لا يتصور فيه وقوع أخطاء لغوية، حتى ولو تنزلنا جدلاً مع هؤلاء الطاعنين أنه من عند رسول الله ﷺ.

السادس: لو كان هناك بالفعل أخطاء في القرآن الكريم، فلماذا لم يصححها النبي ﷺ، لقد كان يداوم على قراءة القرآن، وكان يسمعه كثيرًا من أصحابه، فلو كان هناك أخطاء لالتفَت إليها، وأخذ يصحِّحها؛ حتى لا يشك الناس في رسالته، ويطعنوا في نبوته، وما أيسر أن يلغي الخطأ، ويستبدل به الصواب، أو يُلغي الآية بالكلية، ولا يُثبِّت مكانها

شيئًا، ويجعل ذلك من قَبيل النسخ، ولكنه ﷺ لم يفعل ذلك؛ لأنه رسول من عند الله يبلغ بأمانة وصدق ما أوحاه الله عز وجل إليه، وهذا دليلٌ قوي جدًّا على سخف هذه المزاعم وبطلانها.

السابع: إن كثيرًا مما يزعمونه أخطاءً لغوية لو كانت بالفعل أخطاءً، لكانت أخطاءً ساذجة جدًّا لا يقع فيها المبتدؤون من متعلمي قواعد اللغة، فكيف يقع فيها رسول الله ﷺ، وهو من العرب الأقحاح الخلص المحتج بلغتهم؟! فمثلاً من ضمن الآيات التي يزعم هؤلاء الطاعنون وجود خطأ لغوي فيها قوله تعالى ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]، وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69]، ففي الآية الأولى تم نصب (الصابرين) وهو معطوف على مرفوع (الموفون)، وفي الآية الثانية تم رفع (الصابئون)، وهو معطوف على منصوب (الذين هادوا)، فهل يُتصور أن الرسول ﷺ يُمكن أن يقع في هذا الخطأ السهل الساذج، من نصب المرفوع، ورفع المنصوب؟هذا الخطأ الذي لا يقع فيه من عنده أدنى إلمام بقواعد اللغة؟

إن رفع المعطوفات المعطوفة على مرفوع، أو نصبها إذا عطفت على منصوب، يُعد من بدَهِيات اللغة، وأوليات قواعدها، وليس من القواعد الغامضة التي تَخفى على كثيرٍ من أهل اللغة، وهذا يدل على أن هذا ليس من قبيل الخطأ، وإلا ما وقع فيه النبي صلى الله عليه وسلم لسهولته، وإنما هو وجه من أوجه اللغة حملت الآية عليه، وهذا الوجه ليس بمشهورٍ، لذلك خَفِيَ على كثيرٍ من الناس، وخاصة هؤلاء الطاعنين، فذهبوا يشغبون على القرآن الكريم، ويرمونه بهذه الافتراءات والأكاذيب.

الثامن: أن الآيات التي زعم هؤلاء الطاعنون أن بها أخطاءً لغوية، لها أوجه صحيحة من ناحية اللغة حملت عليها، وصِيغت على أساسها، وهي أوجه وإن كانت غير مشهورة لكنها صحيحة عند أهل اللغة العارفين بها، والملمين بقواعدها، فمثلاً قوله تعالى ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]، نُصب فيه (الصابرين) مع أنه معطوف على مرفوع (الموفون بعهدهم)؛ لأنه منصوب على الاختصاص، والتقدير: أخص الصابرين، وهو وجه صالح في اللغة العربية؛ يقول الزمخشري: "وأخرج الصَّابِرِينَ منصوبًا على الاختصاص والمدح، إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال"؛ [الكشاف 1/220].

وكذلك قوله تعالى ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا

عَظِيمًا} [النساء: 162]، نصب فيه (المقيمين الصلاة) مع أنه معطوف على مرفوع (المؤتون الزكاة)، وهذا النصب أيضًا على الاختصاص؛ أي: أخص المقيمين الصلاة، يقول الزمخشري أيضًا في بيان هذا الوجه مع بيان خطأ من ذهب إلى وقوع اللحن في القرآن الكريم: "والْمُقِيمِينَ نُصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغَبِي [يعني: خَفِيَ] عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد هِمة في الغيرة على الإسلام وذبِّ المطاعن عنه، من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدَّها مَن بعدهم، وخرقًا يرفوه مَن يلحق بهم"؛ [الكشاف 1 /590].

أما قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: 69]، فالصابئون مبتدأ لخبر محذوف، والتقدير: والصابئون والنصارى كذلك، يقول الزجاج: "وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين: إن قوله: (والصابئون) محمولٌ على التأخير، ومرفوع بالابتداء، المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم، والصابئون والنصارى كذلك أيضًا؛ أي: مَن آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم، وأنشدوا في ذلك قول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

المعنى: وإلا فاعلموا أنا بغاة ما بقِينا في شقاق، وأنتم أيضًا كذلك"؛ [معاني القرآن 2/193].

وهكذا كل ما ورد في القرآن الكريم مما يُظَن أنه خطأ له أوجه صالحة في اللغة العربية يمكن حملُه عليها، وما ذكرته هو مجرد أمثلة فقط؛ لذلك ليس عيبَ القرآن الكريم أن هناك جهلاءَ باللغة وعلومها وقواعدها، لا يعرفون هذه الأوجه، حتى يتبجحوا بوجود أخطاء فيه، وإنما العيب عيبهم، وكان عليهم أن يتعلموا، ويعرفوا هذه القواعد قبل أن يرموا القرآن الكريم بما هو منه بَراء، وصدق الله العظيم إذ يقول عن قرآنه الكريم: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 41- 42]."

اهـ من كلام الدكتور الحبيب أنس محمد الغنام، وأزعم أن فيه الغنية لمن أراد الحق أو هدم هذا الإفتراء الوقح من جذوره دون الإغراق في التفاصيل وتحويل المسألة من ردٍّ على هؤلاء الزنادقة الأعاجم إلى دروس مجانية في البلاغة والنحو وهم أصلا لا يستحقونها من وجهة نظري... فجزى الله الدكتور أنس خير الجزاء وبارك له في جهوده.

2- كيف يجوز لنا في العقول أن نحتجّ بإعجاز القرآن (سواء في بلاغته أو أسلوبه) على الأعاجم الذين لا علاقة لهم باللغة العربية علما أنهم الأغلبية الساحقة في عالمنا مقارنة بعدد العرب؟

الرد على هذه الشبهة سيكون عن طريق توضيح وجوه الإلزام التي يفرضها التحدّي القرآني على غير العرب والتي هي:

الوجه الأول:

أن إلزام الإعجاز البلاغي القرآني للأعاجم قائمٌ على ما يُعرف بقاعدة " **قياس الأولى** " ومثالها باختصار شديد "إذا كان الرجل البالغ عاجزًا عن حمل هذه البضاعة التي تزن 50 كلغ, فمن باب **أولى** أنه لن يقدر على حملها طفلٌ صغير."

وبتطبيق هذه القاعدة العقلية في موضوع تحدّي القرآن نقول: إذا كان أسياد البلاغة والفصاحة الذين بلغت اللغة العربية في عصرهم أرقى مستوايتها وأعزّ أمجادها والذين عاصروا تنزّل القرآن الكريم بينهم لم يقدروا على مماثلة بلاغته ومناطحة نظمه, فمن باب أولى لن يقدر على ذلك من جاء بعدهم ممن دخل اللحن على لغتهم العربية وضعُفت على ألسنتهم بسبب إهمال تعلّمها وتقبّل اختلاط الأعجمي من الكلام معها.

فهذا هو أول وجوه الإلزام الموجود في التحدّي القرآني والذي يُراد بالأعاجم فهمه وإدراكه وهو إن عجز المختصّ على الفوز بالتحدّي الذي يدور في فلك معرفته واختصاصه فإنّ غيره من العوام الغير مختصّين أولى بوصفهم بهذا العجز.

أو بعبارة أخرى, ليس العرب الحاليين ولا الأعاجم بمضطّرين إلى التحقق من صدق النتيجة التي قررها علماء المسلمين عبر القرون الغابرة حول إعجاز القرآن اللغوي بعد أن ثبت لديهم عجز من هم أبلغ منهم وأفصح منهم منطقًا!

الوجه الثاني:

أن محاولة التهوين من قيمة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم عن طريق الإحتجاج بأقلية العرب مقارنة بغيرهم من سكّان العالم هي محاولة فاشلة ومصادمة للواقع الذي نعيشه وذلك يعود لسببٍ رئيسي:

هو أن الأغلبية الساحقة من المسلمين هم في الحقيقة أعاجم وليست العربية بلغتهم الأم ومع ذلك تجد منهم حفظة القرآن والفقهاء وكذلك أساتذةً لتدريس اللغة العربية نفسها, وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على أن تعلّم اللغة العربية والإحاطة بمعظم فنونها وأساليبها البلاغية ليس بالأمر المستحيل الإعجازي وخاصة مع تطوّر وسائل ومنهجيات التعليم.

وبالتالي نعود مجددا لموضوع التحدّي القرآني ونقول: صحيح أن المسألة محسومة طبقًا لقاعدة "قياس الأولى", لكن مع ذلك لا تزال أبواب التحدّي مفتوحة لجميع الأجناس عربًا كانوا أو عجمًا, فمن يظنّ في نفسه القدرة على تحقيق ما عجز عنه أهل الصنعة والإختصاص فليُشمّر على ذراعيه ويُرينا تطبيقًا عمليّا لثقته المزعومة, وليستعن بما يشاء من الوسائل المتوفرة: المادية منها (ككتب البلاغة وقواعدها ومعاجم اللسان العربي ومعلّقات الجاهليين وأشعار المتنبّي ومن شابهه) والبشرية كذلك (من دكاترة اللغة وأُدباءها المعاصرين من المتخصصين في النقد والتقيم الأدبي), وبعد ذلك ليعرض عمله على أهل الإختصاص المعاصرين له والذين بدورهم سيزِنون مُؤلّفه وإحدى سور القرآن بميزان البلاغة الذي سبق وأشرنا إليه... ودعوني أحرق عليكم النتيجة متأسّفًا له ولمن سيسير على دربه: {لم تفعلوا ولن تفعلوا} [البقرة: 24]

3ـ أين هو وجه الإعجاز في كون القرآن على قمّة هرم البلاغة في لغة العرب وأنهم لم يقدروا على مماثلته؟ ؟ أليس هذا شيئًا عاديا ومتكررًا على مر العصور مع الأعمال الفنية لأدباء مشهورين كشسكبير الذي أُشتهر بسونيتاته, فهو كذلك كانت أعماله عظيمة وذات قيمة عالية ولم يقدر أي أحد على مماثلتها؟ ؟ هل هكذا صار شكسبير رسولا من عند الله؟ ؟

هذه باختصار سفسطة استشراقية قديمة قائمة على مغالطة المقارنة الزائفة, وسنذكر إن شاء الله الوجوه التي تُثبت زيف هذه المقارنة الغير منصفة بين كلام الله عزّ وجل وكلام غيره من البشر الناقصين:

الوجه الأول:

إن معرفة الشعر وإتقانه هي البوابة الكبرى لمن أراد أن يخرج إلى الناس في ثوب البليغ الذي خضعت له عريكة الكلام وأتقن فنون التصوير والتعبير عن المعاني الجميلة والقيم النبيلة, فحسن البيان في اللغة بما يفوق عادة أهل الزمان ويستفّز أكابر وأساطين هذا الفن ليس وليد طفراتٍ عمياء عفوية, إنما هو حصيلة جهدٍ واجتهاد وتجربةٍ ومِراس. لكن عندما نلقي نظرةً على حال النبي ﷺ فإنا نجد أنه لم يتعلّم الشعر ولم ينظمه ولم يُشتهر به بين قومه, فيحتار العاقل أكثر ويسأل: إذًا من أين إنفجر هذا النبع البلاغي القرآني الضخم؟! لهذا نجد أن القرآن نفسه هو أول وأصدق من شهد على عدم معرفة النبي ﷺ بفنون الشعر وكان ذلك على مرأى ومسمع من العدو قبل الصديق, ولو استطاعوا تكذيب ذلك لما تردّدوا وهم الذين يعرفون أدقّ تفاصيل حياته, يقول الله عزّ وجل {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} [يس: 69]... بينما في الجهة المقابلة نجد أن شكسبير لم يبلغ الثلاثين من عمره حتى صار معدودًا من الكتاب المسرحيين المجيدين, ولم يبلغ مرتبة احتراف الكتابة حتى قطع

شوطا واسعا في إتقان الصناعة الأدبية, ومعلوم ما في الروايات والمسرحيات في تلك الفترة من جمع بين النثر والشعر، خاصة الشعر الغنائي.

الوجهالثاني:

لم يُعرف النبي ﷺ عنه أنه نافس قومه أو غيرهم في فنون البلاغة ولم تعهد العرب أن مَلَكة الشعر قد تنبُع من صاحبها فجأةً بين ليلة وضُحاها... بينما نجد أن شكسبير قد تفرّغ للكتابة المسرحية حتى صارت له وظيفة, وباب الإحتراف في البيئة اللّندنية يقتضي منافسة الكتّاب البارعين ومحاولة إثبات الذّات في عالم الادب المعروف بتناطح الأقران. لكن قد يتحمّس أحدهم ويعترض بأنه ثبُت في السيرة الإسلامية عن نبي الإسلام إنشاده لبعض الأبيات الشعرية وهذا يتعارض مع إدعاء القرآن بعدم معرفته وإتقانه للشعر! هنا سنُعطي الكلمة لمعجزة الأدب العربي كما لقّبه معاصروه وهو مصطفى صادق الرافعي ليشرح لنا مدى تهافت هذا الإعتراض قائلاً:

"مع كونه (أي النبي ﷺ) أفصح العرب إجماعًا، لم يكن ينشد بيتا تاما على وزنه، إنما كان ينشد الصدر أو العجز فحسب؛ فإن ألقى البيت كاملا لم يصحح وزنه بحال من الأحوال، وأخرجه عن الشعر فلا يلتئم على لسانه. أنشد مرة صدر البيت المشهور لـ (لبيد)، وهو قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فصححه، ولكنه سكت عن عجزه [وكل نعيم لا محالة زائل]. وأنشد البيت السائر لـ (طرفة) على هذه الصورة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك (من لم تزود) بالأخبار

وإنما هو [ويأتيك بالأخبار من لم تزود]. وأنشد بيت العباس بن مرداس فقال:

أتجعل نهبي نهب العبيـ ـد بين الأقرع وعيينة ...

فقال الناس [بين عيينة والأقرع] فأعادها ﷺ «بين الأقرع وعيينة» ولم يستقم له الوزن.

ولم تجر على لسانه مما صح وزنه إلا ضربان من الرجز المنهوك والمشطور, أما الأول فكقوله في رواية (البراء): إنه رأى النبي ﷺ على بغلة بيضاء يوم أحد ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

والثاني كقوله في رواية (جندب) أنه ﷺ دميت أصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وإنما اتفق له ذلك؛ لأن الرجز في أصله ليس بشعر إنما هو وزن؛ كأوزان السجع؛ وهو يتفق للصبيان والضعفاء من العرب، يتراجزون به في عملهم وفي لعبهم وفي سوقهم، ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء، فقد يتسق لهم الرجز الكثير عفوًا غير مجهود، حتى إذا صاروا إلى الشعر انقطعوا. وإنما جعل الرجز من الشعر تتابع أبياته، وجمع النفس عليه، واستعماله في المفاخرات والمماتنات ونحوها، وأنه الأصل في اهتدائهم إلى أوزان الشعر... فأما البيت الواحد منه، فليس في العرب جميعًا، ولا في صبيانهم وعبيدهم وإمائهم من يأبه له، أو يعدّه شعرًا أو يأذن لوزنه، أو يحسب أن وراءه أمرًا من الأمر: إنما هو كلام كالكلام لا غير"[1]

الوجهالثالث:

فن السونيتات معروفٌ قبل شكسبير بقرونٍ ومارسه العديد من الأُدباء, لذلك وجد شكسبير في تجربة سلفه مصدرًا ثريًّا يبني عليه بناءه الجديد, بالإضافة لكونه دخل المدارس وتعلّم اللغة اللّاتينية وكانت الكتب موجودة بين يديه يأخذ منها ما يشاء كما التقى المدرّسين النخبة في زمانه وأغترف من خبرتهم... بينما القرآن الكريم تُحفة أدبية لم يسبق لها مثيل, إذْ لم تعرف العرب من قبل نظمًا كنظمه ولا فكرة كفكرته وهو زيادةً عن ذلك كتابٌ أظهره للناس رجلٌ أميّ لم يتعلم الكتابة والقراءة ولم يتلقّى دروسًا في في صناعة الأفكار وتنسيقها وفي تأصيل الدرس اللاهوتي وترتيبه.

الوجه الرابع:

سونيتات شكسبير كغيرها من المُنتجات البشرية ليست كلها بنفس المستوى الأدبي والبلاغي ولم تبلغ من الجمال مبلغًا واحدًا فتارّة تعلو وتارّة تسفُل, بينما القرآن الكريم فهو حرفيًّا بناءٌ بلاغي معجز ومتكامل الأركان من أكبر الوحدات البنائيّة فيه إلى أصغرها, والدليل أمامنا قد تناقلته صفحات التاريخ وهو عجز أساطين اللغة العربية من منافسة أقصر سورة قرآنية وهي الكوثر رغم تكوّنها من 10 كلمات فقط!!

يقول حازم القرطاجني:" إنّ الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارًا لا توجد له فترة (أي الإنقطاع والضعف)، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه والفترات في الفصاحة تقع للفصيح، إما بسهو يعرض له في الشيء من غير أن يكون جاهلا به، أو من جهل به، أو من سآمة

[1] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ-1973م)، ص 307 - 309.

تعتري فكره، أو من هوى للنفس يغلب عليها فيما يحوش عليها خاطره من اقتناص المعاني سمينا كان أو غثًّا، فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل والطبع الكامل"[1]

الوجه الخامس:

النبي ﷺ تجرّأ وتحدّى العرب جميعًا في ميدان اختصاصهم وأحسن مايُجيدونه وأغلظ عليهم التحدّي وأهان كرامتهم الأدبية في أكثر من موضع, ولم يكتفِ بذلك بل بلغ معهم أعلى درجات الإستفزاز بأن حكم عليهم بالعجز حاضرًا ومستقبلاً وهدّدهم بالنار إن لم يُذعنوا للذي يُوحى إليه! بينما شكسبير في الجهة المقابلة لم يتحدّ أحدًا سواءً من أقرانه أو غيرهم, ولم يدّعي لكتاباته السطوة والهيمنة المطلقة على ميدان الأدب الإنجليزي, بل إن كتاباته لم تكن لأهل عصره في مقام ما لا يمكن الوصول إليه بالإجتهاد والمثابرة بل هي عندهم في منزلة الفاضل على المفضول, ويمكن حينها للجاد الكُفءِ أن يطمع في منافستها ومماثلتها إن أخذ بالأسباب الكافية... وقد قورِن واقعًا الأدب الشكسبيري مع كتابات (فرنسيس بومونت وجون فليتشر)[2] وغيرهما من الأُدباء.[3]

الوجه السادس:

لم يزعم أحدٌ سواءً في عصر شكسبير أو في العصور الذي تلَته أن سونيتاته لها صفة فوق طبيعية أو تأثير خارق لعادات البشر, فهي عند مُحبيه وعشّاق الأدب الإنجليزي نِتاج تراكمات ضخمة من الإجتهاد والدراسة والخبرة المكتسبة لا أكثر, بينما لو انتقلنا إلى الجانب القرآني فسنجد أن خصومه الذين بلغت اللغة العربية في عهدهم ذُروتها وقمّة رُقيّها وبعد أن فشلوا فشلاً ذريعًا في منافسته ومماثلته لم يجدوا حلاًّ أمام سطوة بلاغته ونظمه إلّا أن يصفوه بالسِّحر الذي هو معروفٌ عندهم أنه ليس من كسب اجتهادات العقول بل هو فيضٌ من فعل كائنات خارقة التي هي الجن!

فهاهو الوليد بن المغيرة أحد زُعماء العرب وعُلمائهم في الشعر والأدب بعد أن نفذت منه الحلول والتفسيرات لمصدر القرآن الكريم بعيدًا عن الإيمان بربّانيّته لم يتبقّ له سوى أن ينسبه إلى السحر المأثور والقصة في ذلك معروفة وثابتة وسبق أن أشرنا إليها كاملةً في هذا البحث, الأمر الذي إستحقّ على إثره أن تنزل فيه آيات قضت

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار التراث، 1404هـ - 1984م) ص 101

[2] - فرنسيس بومونت Francis Beaumont (1584 - 1616) : كاتب مسرحي إنجليزي شهير. من أهم ما كتب " The Knight of the Burning Pestle"

- جونن فلتشر John Fletcher (1579 - 1625) : كاتب مسرحي إنجليزي. ألف أكثر من خمسين قصة مسرحية في مختلف أنواع الفن المسرحي. اشترك مع (شكسبير) في كتابة مسرحية "The Two Noble Kinsmen"

[3] P. Holland, (2013) Shakespeare, William (1564-1616). Oxford Dictionary of National Biography Oxford University Press. http://dx.doi.org/10.1093/ref:odnb/25200

عليه بدخول النار والخلود فيها, يقول الله عزّ وجل {إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)} [سورة المدّثر]

بل كان مشركو مكّة يدركون سطوة القرآن الغير طبيعية على قلوب مستمعيه مما أدى بيهم إلى محاولة التشويش عليه والتشغيب على من يقرأه حتى لا تبلغ تلاوته آذان غير المسلمين, يقول الله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26)} سورة فصّلت, وقال الطبري في تفسيره لهذه الآية "القول في تأويل قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(26) يقول تعالى ذكره: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من مشركي قريش: (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه, ولا تصغوا له, ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به. كما حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) قال: هذا قول المشركين, قالوا: لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه. وقوله: (وَالْغَوْا فِيهِ) يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيما لا تسمعوه, ولا تفهموا ما فيه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل."

ويظهر كذلك في خوفهم على نسائهم وأبنائهم من أن يفتتنوا بالقرآن لمّا كانوا يزدحمون بشدة حول مُصلّى أبي بكرٍ رضي الله عنه ويستمعون لقراءته, حيث تروي السيدة عائشة رضي الله عنها " لَمْ أعْقِلْ أبَوَيَّ إلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ، ولَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلَّا يَأْتِينَا فيه رَسولُ اللَّهِ ﷺ، طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَا لأبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ، فَكانَ يُصَلِّي فيه ويَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَقِفُ عليه نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ منه ويَنْظُرُونَ إلَيْهِ، وكانَ أبو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إذَا قَرَأَ القُرْآنَ، فأفْزَعَ ذلكَ أشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ." [1]

فهل يجرؤ عاقلٌ أن ينسب هذه التأثيرات الخارقة للعادة والسطوة القاهرة على قلوب المستمعين لسونيتات شكسبير أو غيرها من الأعمال الأدبية التارخية؟؟

الوجه السابع:

[1] الراوي : عائشة أم المؤمنين |المحدث : البخاري |المصدر : صحيح البخاري |الصفحة أو الرقم | 476 : خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج : من أفراد البخاري على مسلم

السونيتات الشكسبيرية كغيرها من الأعمال الأدبية لها عوامل وظروف يجب أن تتوفر فيها حتى تُحقّق تلك الجودة التي أشتهرت بها منها: اختيار الشاعر للموضوع سلفًا حتى تكون له الحرية في إطلاق العنان لخياله وفتح أبواب الإبداع البياني على مصرعيها أمام أقلامه, وهو مع ذلك يعرف سلفًا مبدأ القصيدة ومنتهاها....بينما القرآن الكريم يخالف ماذكرناه وذلك لعدة أسباب نُلخّصها على شكل النقاط التالية:

أ- أن غالبية المواضيع التي يُعالجها القرآن تجد منها التشريعية واللّاهوتية والتاريخية, بل وتجد كذلك السجالات بين التوحيد والوثنية ودحض شبهات المشركين من مختلف الملل, وكما ترون فهذه المواضيع التي ذكرناها ليست محببة عند الأديب البليغ لكونها ليست مرتعًا للخيال والتشدّق بالكلمات العذبة ويجب على من يريد الخوض فيها أن يكون دقيقًا في ألفاظه وصادقًا في التعبير والتصوير فهذا بالتالي تقييد لملكته الأدبية وقدرته على السّرحان بمخيّلته!

ب- كثيرٌ من الآيات القرآنية بل سورٌ بأكملها نزلت للإجابة على سؤالٍ طارئ أو حدثٍ مفاجئ يستلزم له إجابة فورية وهذا من غرضه تقييد البيان الأدبي القرآني والحدّ من جماليّته لو كان حقًّا إنتاجًا بشريًّا, لكن الواقع الملموس أمامنا يحكي لنا عكس المتوقّع حدوثه!

ج- من بين السمات المميزة التي سنلاحظها عند قراءتنا للقرآن ظاهرة تكرار بعض المواضيع كقصص الأنبياء ومسائل التوحيد واليوم الآخر في مواطن متفرّقة في السور القرآنية ومع ذلك ترى هذه السور لا تزال محافظة على سمُّوها البلاغي وسطوتها الأدبية على قلب قارئها من دون أن يجد في قلبه الضجر والملل أثناء تلاوتها فهي لا تزال غضّة على سمعه ولسانه كأنّه يقرأها للمرة الأولى! بينما في الطرف المقابل نجد أن فكرة التكرار ينفر عنها المشتغلون بصناعة الأدب لكونها مجازفة تؤدّي بصاحبها إلى فضح عجزه عن المحافظة على نفس مستوى الفصاحة والبلاغة في أعماله التي يُقدّمها.

د- أننا نجد في السيرة النبويّة ذكرًا لأشهر العلامات والآثار التي كانت تظهر على النبي ﷺ أثناء نزول الوحي عليه من تعرّقٍ شديد لجبهته ووجنتيه في اليوم شديد البرد, تقول السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:" وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا ".[1]
إلى جانب الشدّة التي كان يحس بها ﷺ والتي تصفها لنا مجددًا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول:" فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ." [2] والبُرحاء كما شرحها البدر العيني تعني شدّة الكرب

[1] رواه البخاري (2) ومسلم (2333) ولفظه : " ثُمَّ تَفِيضُ جَبْهَتُهُ عَرَقًا ".
[2] رواه مسلم (2770)

وشدّة الحمّى كذلك.[1] وكان كذلك يتغيّر وجهه فيتربّد ويتحمّر, عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رضي الله عنه- قَالَ:"كَانَ نبي الله ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوحي كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ". [2] وغيرها وغيرها من الآثار...

الشاهد مما سبق أن أي شخصٍ أمسك قلمًا في حياته وكتب ولو مقالة نثرية بسيطة سيُدرك بمنتهى السرعة والبداهة أن هذه العلامات والأوصاف التي كانت تُرى على النبي ﷺ أثناء نزول الوحي تُناقض تمامًا الحالة التقليدية لأديبٍ ما أو شاعرٍ أثناء كتابته لعمله الفنّي من توفير مكانٍ مريح وهادئ مع الإسترخاء التام وتصفية الذهن والسرحان بالخيال لتوليد أجود ما عنده من الأفكار, بل حتى أولئك الشعراء الذي نظموا بعض قصائدهم وهم غارقون في أحزانهم لم تكن أبدًا لتظهر عليهم تلك العلامات والآثار التي كانت تصيب النبي ﷺ, ولو أصابتهم فحتمًا ليست هي الظروف المناسبة ليألّف أحدهم قصيدة بمنتهى البلاغة والإتقان!

4- لماذا لا يمكن تفسير بلاغة القرآن على أنها ناتجة عن بلاغة نبي الإسلام نفسه, فتكون النتيجة: أن عجز العرب عن مماثلة القرآن لا تعني بالضرورة ألوهية مصدره إنما تعني أنهم فشلوا في مضاهاة فصاحة النبي نفسه؟!

هذه أيضًا سفسطة لا تقلّ تهافتًا عن سابقتها خاصة بعد أن نقوم بتفصيل الردّ عليها في عدّة أوجه بإذن الله فنقول متوكّلين على الحي الذي لايموت: صحيحٌ أننا نؤمن بفصاحة النبي ﷺ وبسطوتها مقارنةً بمن حوله وأنّه أوتيَ جوامع الكلِم, لكن أن نجعل هذه الخاصية المميّزة له مصدرًا للقرآن العظيم فهذا باطلٌ من عدة أوجه, نذكر ما تيسّر منها وهي:

الوجه الأول:

الفرق الشاسع والواضح بين بلاغة القرآن الكريم ونظمه وبين بلاغة النبي ﷺ وأسلوب كلامه المنقول إلينا عبر آلاف المرويات والأحاديث, فلو كان القرآن حقًّا من تأليف محمد ﷺ لوجد الناس (جاهلهم وعالمهم بلغة العرب) العديد من أوجه التشابه بينه وبين أسلوب كلامه ﷺ سواء من ناحية النظم أو قوة البلاغة نفسها, فالنفس واحدة والفطرة واحدة ومصدر الكلام واحد.

[1] " عمدة القاري " (1 / 43)

[2] رواه مسلم (2334)

فهل إيجاد العديد من أوجه التشابه والتطابق بين الأسلوب النبوي والأسلوب القرآني " إن كان موجودًا " صعب على من كانت اللغة العربية هي لغتهم السليقة وكانوا يوميًّا يسمعونه ﷺ مرّة يقرأ عليهم القرآن ومرّة يحدّثهم بحديثه الخاص الذي اعتادته آذانهم منذ مكوثه معهم لأزيد من 40 سنة؟! ومع ذلك فنحن العوام الذين لم نصل لثمن بلاغة العرب الأقحاح تجد أحدنا بعد أن نُسمعه سورة قصيرة من سور القرآن الكريم أو ربما آية قرآنية متوسطة الطول ثم بعد ذلك نقرأ عليه حديثًا (ربما تكون أول مرّة يسمعه في حياته) فإنّه لن يبذل مجهودًا كبيرًا في التفريق بين بلاغته وأسلوبه وبين بلاغة السورة القرآنية التي سمعها سابقًا فما أدراك بأساطين اللغة قبل 1400 سنة؟!

الوجه الثاني:

هنا سنترك شيخنا الكريم الدكتور عبد الله دراز ليُبرز لنا هذا الوجه الثاني من الرد لأني مهما حاولت إعادة صياغته بأسلوبي الخاص إلا أنني لم أستطع تحقيق ربع الأسلوب والطريقة التي طرح بها شيخنا -رحمه الله- هذه الحجة, وأعتذر مُسبقًا على طول الرد لكنّي أُبشّر القارئ بوجبة أدبية دسمة لن تخيب ظنّه بإذن الله تعالى.

يقول الشيخ -رحمه الله-: "أما أن محمدا ﷺ كان هو أفصح العرب، وكان له في هذه الفضيلة البيانية المقام الأول بينهم غير مزاحم فذلك مالا نماري -بل لا نمتري- فيه نحن ولا أحد ممن يعرف العربية، غير أننا نسأل ما مبلغ هذا التفاوت الذي كان بينهم وبينه؟ أكان مما يتفق مثله في مجاري العادات بين بعض الناس وبعض في حدود القوة البشرية، أم كان أمرًا شاذًا خارقًا للعادة بالكلية؟

فأما إن كان كما نعهد شبيهًا بما يكون في العادة بين البليغ والأبلغ، وبين الحسن والأحسن، فلا شك أن هذا النحو من العلو إن حال بينهم وبين المجيء بمثل كلامه كله لم يكن ليحول بينهم وبين قطعة واحدة منه، ولئن أعجزهم هذا القدر اليسير أن يحتذوه على التمام لم يكن ليعجزهم أن ينزلوا منه بمكان قريب. ألا وإننا قد أرخينا لهم العنان في معارضة القرآن بهذا أو ذاك، وأغمضنا لهم فيما يجيئوننا أن يكون كلاً أو بعضاً، وكثيرًا أو يسيرًا ، ومماثلاً أو قريبًا من المماثل، فكان عجزهم عن ذلك كله سواء!

وأما إن قيل إن التفاوت بينه ﷺ وبين سائر البلغاء كان إلى حد انقطاع صلتهم به جملة، لاختصاصه من بين العرب ومن بين الناس بفطرة شاذة لا تنتسب إلى سائر الفطر في قليل ولا كثير إلا كما تنتسب القدرة إلى العجز، أو الإمكان إلى الاستحالة فلا شك أن القول بذلك هو أخو القول بأن من الإنسان ما ليس بإنسان، أو هو التسليم بأن ما يجيء به هذا الإنسان لا يكون من عمل الإنسان. ذلك أن الطبيعة الإنسانية العامة واحدة والطبائع الشخصية تقع فيها الأشباه والأمثال في الشيء بعد الشيء وفي الواحد بعد الواحد؛ إن لم يكن ذلك في كل عصر ففي عصور متطاولة، وإن لم يكن في كل فنون الكلام ففي بعض فنونه. وكائنٌ رأينا من أناس كثيرة تتشابه قلوبهم وعقولهم وألسنتهم فتتوافق خواطرهم وعباراتهم حينًا، وتتقارب أحيانًا، حتى لقد يخيل إليك أن هناك الروح الساري في القولين روح واحد، وأن النفس ها هنا هو النفس وكذلك رأينا من الأدباء المتأخرين من يكتب بأسلوب ابن المقفع

وعبد الحميد، ومن يكتب بأسلوب الهمذاني والخوارزمي, وهلم جرًا.
فلو كان أسلوب القرآن من عمل صاحبه الإنسان لكان خليقاً أن يجيء بشيء من مثله من كان أشبه بهذا الإنسان مزاجًا, وأقرب إليه هديًا وسمتًا وألصق به رحمًا، وأكثر عنه أخذًا وتعلمًا. أو لكان جديرًا بأصحابه الذين نزل القرآن بين أظهرهم فقرأوه واستظهروه؛ وتذوقوا معناه وتمثلوه؛ وترسموا خطواته واغترفوا من مناهله أن يدنوا أسلوبهم شيئًا من أسلوبه على ما تقضي به غريزة التأسي، وشيمة نقل الطباع من الطباع. ولكن شيئًا من ذلك كله لم يكن؛ وإنما كان قصارى فضل البليغ فيهم كما هو جهد البليغ فينا: أن يظفر بشيء يقتبسه منه في تضاعيف مقالته ليزيدها به علوًا ونباهة شأن."[1] اهـ من كلام الشيخ الدكتور عبد الله دراز -رحمه الله-، وفيه الكفاية بإذن الله تعالى لكل ذي عقلٍ سليم مُنصف.

الوجه الثالث:

هنا كأني بأحد السوفسطائيين يرمي ورقته الأخيرة بمنتهى اليأس ويقول: ما المانع من أن يكون للإنسان ضربان من الكلام, أحدهما يُنشأه من طريق السجيّة والعفوية والآخر يكون بعد تريّث وتمحيص وتهذيب وفي الأخير يَنتج لنا نوعان مختلفان تماما من الكلام لكنّهما نابعان من نفس الشخص, أفلا يمكننا إسقاط هذا المثال على مسألة الإختلاف الواضح بين الحديث والقرآن الكريم؟؟
مجددا نُحطّم آمال السوفسطائي المسكين عن طريق إبراز العيوب والنقائص التي تعتري هذا الطرح المتهافت وهي:
أولا: أن القرآن الكريم نفسه كانت سوره وآياته منها ما كانت تتنزل على النبي ﷺ فجأةً دون توقّع إما إجابةً عن سؤال أو فتوى شرعية أو قصة عن إحدى الأمم السابقة وغيرها من المناسبات المختلفة, ومنها ما كانت تتنزّل على مهلٍ أي بعد فترة معتبرة من زمن وقوع الحادثة المتعلقة بها.
فأما النوع الأول (على سبيل المثال لا الحصر لأنه كثير) فنجد مثلاً ما جاء عن أُبي بن كعب -رضي الله عنه- "أن المشركين قالوا لرسول ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: قل هو الله أحد الله الصمد ....إلى آخر الحديث"[2], وكذلك قصة خولة بنت ثعلبة التي ترويها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فتقول "تبارَكَ الَّذي وسِعَ سمعُهُ كلَّ شيء، إنِّي لأسمعُ كلامَ خَولةَ بنتِ ثَعلبةَ ويخفَى عليَّ بعضُهُ، وَهيَ تشتَكي زَوجَها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وَهيَ تقولُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَكَلَ شَبابي ، ونثرتُ لَهُ بَطني ، حتَّى إذا كبُرَتْ سِنِّي ، وانقطعَ ولَدي ، ظاهرَ منِّي ، اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليكَ ، **فما برِحَتْ** حتَّى نزلَ جِبرائيلُ بِهَؤلاءِ الآياتِ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ"[3] , وإن شئتم كذلك ذكرنا لكم نزول سورة المرسلات كاملة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع بعض أصحابه كما

[1] كتاب النبأ العظيم للشيخ عبد الله دراز ص 120-122
[2] رواه الترمذي والحاكم، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي
[3] المحدث: الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 1691 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

جاء عن ابن مسعود -رضي الله عنه- "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا)، فَأَخَذْتُهَا مِنْ فِيهِ وَإِنَّ فَاهُ رَطْبٌ بِهَا" [1]

وأما النوع الثاني فمن أشهر أمثلته الآيات المتعلّقة بحادثة الإفك ومسألة تحويل القبلة... ورغم ذلك نجد في كلا الحالتين (النوعين) نفس الأسلوب ونفس النظم ونفس البلاغة والفصاحة التي أعجزت مشركي العرب فما استطاعوا مماثلة ومنافسة لا النوع الأول ولا الثاني!

ويبقى الحال نفسه لو تفحّصنا أحاديثه ﷺ وقرنا المقارنة بين كلامه في حالة التفكير الطويل والمشاورة كما كان يحدث مع أصحابه رضوان الله عليهم في مسائل الحرب وما شابهها وبين كلامه بعد تريثٍ يسير انتظارًا للوحي كما في قصة الرجل الذي جاء في الجعرانة سنة ثمانٍ وسأله عن العمرة, وبين كلامه العفوي كما في مزاحه مع أصحابه والأحاديث اليومية التي كانت تدور بينه وبين أزواجه...كل هذه الحالات والظروف التي كانت تمرّ عليه ﷺ ومع ذلك يبقى كلامه محافظًا على نفس النمط والأسلوب فلا تكاد تميز بين حديثه الذي يستقيه من الوحي وبين ما يستقيه من رأيه الخاص وبين الكلام العادي الذي يجري بينه وبين أصحابه وأهله!

ثانيًا: أن صاحب هذه السفسطة يحسب أن عصر نزول القرآن يشبه عصرنا الحالي أين أصبح تعلم العربية ومحاولة إتقانها لا يكون إلا بعد تعليمٍ طويل وبذل مجهودٍ ليس باليسير خاصة بعد إنحذار اللسان العربي وظهور ما يُسمى باللهجات المحلّية, فيصير لأحدنا أسلوبان في الكلام كأنه شخصان مختلفان تمامًا, أسلوبٌ عند كلامه مع أهله ومجتمعه عند استعماله للهجته المحلّية -ما يُعرف عند سكان المغرب العربي بـ" الدّارجة "- وأسلوبٌ مغاير تمامًا وذلك عند محاولته تأليف مقالة أو كتابٍ أو بحثٍ مستعينًا باللغة العربية التي تعلّمها ودرسها أكاديميا... بينما في العصر الذهبي للغة العرب الذي هو عصر نزول القرآن, فإن العربية لم تكن تُكتسب بالتلقين والمُدارسة بل كانت هي لغة القوم السليقة التي ألفتها عقولهم وأسماعهم ونطقوا بها فطرةً منذ طفولتهم (كما سبق ونبّهنا في هذا البحث), فلن تجد اختلافًا فجًّا بين كلام العربي القُحّ سواء أثناء نثره لخطبةٍ أو نظمه لقصيدة أو كلامه العادي مع أهل مجتمعه أثناء معاملاته اليومية, ولن يخرج بذلك عن أسلوبه وسجيّته التي يألفها طبعه, بل حتى لو حاول التكلّف والخروج عن عادته في كلامه فإنك ما تزال تجد فيه ما ينمُّ على سجيّته وطبعه المعهود به, بل بعد كل هذا التكلّف والتنطّع في الكلام لن يجد زيادةً في الفصاحة وحسن الحديث بل قد ينقلب الوضع عليه ويُنقص من بلاغة كلامه عكس ما كان يطمح إليه بهذا التكلّف المُتعب. لهذا كان ﷺ ينهى عن الغلو والتنطّع في كثيرٍ من نواحي الحياة ومن بينها الكلام بداهةً فقد روى عنه ابن مسعود في صحيح مسلم أنه قال" هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قالَها ثَلاثا"

---

[1] رواه الحاكم في مستدركه برقم 2994 وصححه ووافقه على ذلك الذهبي

5- حتى الهندوس يستطيعون أن يدّعوا الإعجاز لكتبهم المقدّسة "الفيدات" وأن يتحدّوا الناس على الإتيان بمثلها, وحتى هذه اللحظة لا يوجد من حاكى الفيدات, فما الذي ميّز القرآن عنها؟!

صدقوني لو لم أرى بعينيَّ هاتين الملاحدة يطرحون هذا الإعتراض المضحك في مواقع التواصل الإجتماعي لترفّعت صراحةً عن الرد على مثل هذا المستوى المتدنّي من الضحالة المنطقية العلمية, لماذا؟! لأن المسألة كلها أو لنقل أساسها قائم على مغالطة " المقارنة الزائفة " التي سبق وأن مرّت معنا في هذا البحث, وحسب خبرتي المتواضعة فإن الذي يقع في هذه المغالطة لا يخرج عن كونه إما جاهل أو مدلّسٌ محتال, وليَختَرِ الطرف المعارض في أي الفريقين يريد أن يكون.......وأوجه بطلان هذه المقارنة الزائفة يظهر لنا في:

الوجه الأول:

القرآن الكريم جعل من التحدّي البلاغي وعجز أساطين الفصاحة والبيان عن الفوز به من أهم البراهين الدالة على كونه كلامًا لله عزّ وجل رب العالمين... بينما في الجهة المقابلة لا نجد داخل صفحات الفيدات الهندوسية أي نصٍّ تتحدّى فيه مخالفيها أن يحاولوا منافسة ومماثلة نصوصها من ناحية البلاغة وقوة البيان ويكون ذلك برهانًا على مصدرها الإلهي, فلا أدري أين وجه المقارنة أصلاً !

الوجه الثاني:

القرآن الكريم تحدّى العرب الأقحاح في أهم وأكثر ما يبرعون فيه, ألا وهو صنعة البيان وقوة البلاغة, فقد سبق وأن أشرنا إلى أن اللغة هي مصدر فخرهم وعزّهم وأهم ما يتبارون حوله في أسواقهم ونواديهم, فأن تتحدّى قومًا في أكثر ما يُتقنونه وتكون الغلبة لك فهذا عين الإعجاز والهيمنة... بينما لو فرضنا جدلاً أن الفيدات تحدّت المكذبين بها أن ينافسوا نصوصها بلاغيًّا وكان هذا التحدّي موجه من باب أولى للشعوب التي تكلّمت بنفس اللغة المكتوبة بها, فهل سيكون هذا التحدّي منطقيا لإثبات مصدرها الإلهي؟ هل عُرف عن تلك الشعوب اعتنائهم الشديد بلغتهم وتفاخرهم وتبارزهم بها وأن صناعة البيان هي أرقى ما يملكون مثل العرب؟! هل كان هذا التحدّي سيستوفي أعلى معايير الإعجاز وإقامة الحجة على المخالف؟! الإجابة قطعًا: لا!!

الوجه الثالث:

من المعروف لدينا أن لغة العرب كانت قبل الإسلام إما نثرًا أو شعرًا حتى جاء القرآن الكريم بنظمٍ جديد مغايرٍ لم تعهد العرب له مثيلاً , ومع ذلك وبهذا النظم الجديد كان القرآن مفهومًا لهم ملامسًا لوجدانهم قبل مسامعهم,

وزاد على كل ذلك قهره لهم بحيث وقفوا عاجزين أمام عظمة بلاغته من جهة وعظمة وقوة نظمه اللغوي الجديد من جهة أخرى, فالقرآن الكريم إذًا تحدّاهم في جنس ما يبرعون فيه لكن ليس فقط بقوة بلاغة عباراته وفصاحة ألفاظه, بل حتى بنظمه ونسَقِه اللغوي الجديد الخلّاب, فما استطاعوا حينها لا مقارعة بلاغته ولا الإتيان بنظمٍ أجمل من نظمه... بينما في الجهة المقابلة لو فرضنا جدلاً أننا سنعرض على المكذّبين بالفيدات تحدّيًا في المجال الأدبي وسنعتبره دليلاً على صحّتها, حينها سنقوم بتفحّص طبيعة نصوص الفيدات والأسلوب المكتوبة به ونسأل: هل جائت نصوص الفيدات بنسقٍ لغويّ وأسلوب أدبي جديد لم يعهده الآريون في لغتهم وطريقة تعبيرهم؟!! هل خرجت نصوص الفيدات عن الأسلوب الأدبي الذي يعرفه متكلّموا اللغة التي كُتبت بها؟! يقول الدكتور محمد إسماعيل الندوي: "إن كتب الفيدات في الحقيقة تتضمن انطباعات الآريين وعقائدهم ومشاعرهم وأحاسيسهم منذ نزوحهم إلى الهند، وهي تصور تصويرًا صادقًا حياتهم البدائية، وعقائدهم البسيطة، وآلهتهم الساذجة، ومشاعرهم الرقيقة ومخاوفهم الشديدة، وبهجتهم المفعمة، كما أنها تحكي آلهتهم وأدواتهم التي جلبوها من بلادهم مثل الحديد والخيول، وبهذا يعتبر الفيدا تاريخ الفكر الآري منذ عام 1800 قبل الميلاد، ولكن هذا الكتاب... كانت تتناقله ألسنة الناس من الكهنة وعامة الناس، وتحفظه صدورهم... ويعتقد الباحثون إن التدوين الفني لهذا الكتاب قد تم خلال سنة 600 ق.م حينما ارتفعت البلاد إلى المستوى المدني، وقامت الدول المدنية... وقد ألف الفيدا كثير من رجال الدين الآريين **باللغة السنسكريتية وبالشعر**، وبهذا لم يكن للفيدا مؤلف واحد كما لا يمكننا تحديد أسماء مؤلفيه"[1]

فلو غضضنا الطرف عن كون مصدر الفيدات الأصلي مجهول (وهذا طعن صريح في صحّتها) فهل لاحظتم كلام الدكتور إسماعيل وهو يصف لنا الأسلوب الأدبي الذي ألّف به رجال الدين الآريين كُتب الفيدا؟! لقد كانت عبارة عن أبيات شعرية, أي بعبارة أدق فإن النسق اللغوي الذي كُتبت على نحوه نصوص الفيدات هو نفسه النسق والأسلوب الذي اِعتاد على استعماله الشعب الآري ......فكيف يتجرّأ حينها الملحد السوفسطائي بمنتهى الوقاحة أن يعقد مقارنة ظالمة بين التحدّي القرآني وبين نصوص الفيدات؟!

[1] الهند القديمة , حضاراتها ودياناتها للدكتور محمد إسماعيل الندوي ص98

الدليل الثانى: الإعجاز الغيبى فى القرآن الكريم

1ـ ما المُراد بالإعجاز الغيبى فى القرآن الكريم؟

عرّفه الدكتور مصطفى مسلم بإختصارٍ في كتابه [مباحث في إعجاز القرآن] فقال:" من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم التي ذكرها العلماء الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب ويقصدون بذلك كل ما كان غائبا عن محمد ﷺ، ولم يشهد حوادث الواقعة ولم يحضر وقتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، كإخبار الله عزّ وجل له بما يكيده اليهود والمنافقون، ويشمل أيضا ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان. "[1] وهو بذلك ينقسم إلى قسمين: **غيب الماضي، وغيب المستقبل.**

2ـ ذِكر هذا النوع من الإعجاز فى القرآن الكريم:

يقول الله عزّ وجل **{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52)}** [سورة الشورى]

ويقول كذلك سبحانه وتعالى **{تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)}** [سورة هود]

وقال سبحانه وتعالى **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [سورة الجن]**

وغيرها وغيرها من الآيات الكثيرة التي تكلّمت عن أنباء الغيب وعن علم الله الشامل لكل ما كان وسيكون سبحانه وتعالى.

تنويه مهم:

[1] مباحث في القرآن الكريم ص259

لا أدّعي أني جمعت في هذا الفصل كل الأخبار الغيبية التي جاء بها القرآن الكريم ولم أُحط علمًا بها كلها, فما ستجدونه هنا هو بضع أمثلة من اختياري الشخصي حتى أحقّق كِلتا الفائدتين وهما: إقامة الحجة على صحّة الإسلام وكون القرآن حقًّا كلام الله سبحانه وتعالى، مع الاختصار وعدم الإطالة على القارئ.

النوع الأول: الإعجاز الغيبي المستقبلي

1ـ حُكم القرآن على أبي لهب والوليد بن المغيرة في حياتهما بالموت على ملّة الكفر والخلود في جهنّم:

وهو ما جاء ذكره في سورة المسد بالنسبة لأبي لهب وزوجه, قال الله سبحانه وتعالى:

{تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿1﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿2﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿3﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿4﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿5﴾}

وأمّا ما أُنزل في حق الوليد بن المغيرة فقد كانت هذه الآيات من سورة المدّثر, قال الله عزّ وجل:

{ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿11﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالاً مَّمْدُودًا ﴿12﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿13﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿14﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿15﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿16﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿17﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿18﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿19﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿20﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿21﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿22﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿23﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿24﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿25﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿26﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿27﴾ لاَ تُبْقِى وَلاَ تَذَرُ ﴿28﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿29﴾}

وجه الإعجاز ممّا سبق:

بالرغم من كون أبي لهب عمًّا للنبي ﷺ, وبالرغم كذلك من اشتهار العرب بحميّتهم تجاه الأرحام ووفائهم لها وتفاخرهم بذلك إلّا أن ذلك لم يشفع لرسول الله ﷺ في شيء, فقد كان أبا لهب من أشد الناس عداوة له منذ بداية الدعوة الجهرية كما جاء في رواية ابن عبّاس -رضي الله عنهما- حيث قال: " لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ علَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَخْرُجَ أرْسَلَ رَسولًا لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجَاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فَقالَ: أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم؛ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ سَائِرَ اليَومِ، أَلِهذا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا

أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ}." [1]

بل كان حريصًا حرصًا شديدًا على تكذيب النبي ﷺ كلّما سنحت له الفرصة في ذلك فنجد مثلاً في رواية طارق بن عبد الله -المحاربي رضي الله عنه-: "رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ مرَّتَينِ: مرَّةً بِسُوقِ ذي المَجازِ وأنا في بِيَاعةٍ لي أبيعُها، فمَرَّ وعليه حُلَّةٌ حَمراءُ وهو يُنادي بأعْلى صَوتِه: يا أيُّها الناسُ، قولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، تُفلِحوا، ورَجُلٌ يَتبَعُه بالحِجارةِ وقدْ أدْمى كَعْبَيه وعُرقوبَيْه وهو يقولُ: يا أيُّها الناسُ، لا تُطيعوه؛ فإنَّه كَذَّابٌ، قُلتُ: مَن هذا؟ فقالوا: هذا غُلامُ بَني عَبدِ المُطَّلِبِ، قُلتُ: مَن هذا الذي يَتبَعُه يَرْميه؟ قالوا: هذا عَمُّه عَبدُ العُزَّى، وهو أبو لَهَبٍ -لَعَنَهُ اللهُ-..." [2]

وهنا يبدأ العاقل مِنّا بالتفكير متعجّبًا ومتسائلاً: رجلٌ بهذا البغض الكبير الذي يحمله تجاه رسالة الإسلام وهذا التفاني الشديد الذي يبذله من أجل تكذيب النبي ﷺ, ألم يكن من الأسلم والأيسر عليه أن يوفّر هذا المجهود الضخم ويكتفي فقط بمناقضة ما كان يدّعيه النبي ﷺ أنه كلام الله؟! أو ليس القرآن قد قضى على أبي لهب وزوجته بالموت على ملّة الكفر ودخول النّار؟ إذًا فالامور يسيرة, فكل ما عليه فعله هو أن يخرج هو وزوجته - أو هو وحده كافٍ - علنًا وينطقا الشهادتين مُعلنين بذلك إعتناقهما الإسلام!
أيُّ مصيبة كبيرة كانت ستحل بالنبي ﷺ ودعوته الوليدة حديثًا عندما يجد أن القرآن الذي تلاه على مسامع الناس على أنه كلامٌ منزلٌ من عند الله قد تمّ تكذيبه في لحظةٍ واحدة؟! وماذا ستكون ردة فعل المسلمين وهم يقرأون بسورة المسد في صلاتهم وأبو لهب واقفٌ معهم في نفس الصف وهو صحابي للنبي ﷺ؟!
ونفس الكلام ينطبق على الوليد بن المغيرة الذي رغم قيام الحجة عليه واعترافه ببلاغة القرآن إلّا أن نفسه الجاحدة أبت إلّا المكابرة واتهام القرآن بأنّه سحرٌ يُؤثر.[3]

فلِمَ لم يتحرّك أحدهما ويُبادر بهذه الخطوة البسيطة ويُصيب الدعوة الإسلامية في مقتل؟! ببساطة شديدة, الذي حكم عليهما بالموت كفرًا والخلود في النار ليس محمد بن عبد الله ﷺ ذي العلم الناقص كغيره من المخلوقين, بل كان هذا الحكم صادرًا عن رب الأرباب عالم الغيب والشهادة العزيز المُتعال سبحانه وتعالى.

2ـ تحدي القرآن لليهود المعاصرين للرسول ﷺ أن يتمنوا الموت:

---

[1] الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 4770

[2] المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج سنن الدارقطني | الصفحة أو الرقم: 2976 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

[3] سبق وأن أشرنا لهذه القصة والرواية التي تذكرها في مقالة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم, بالضبط عند حديثنا عن شهادات غير المسلمين على بلاغة القرآن

ويظهر ذلك في قوله سبحانه وتعالى {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿94﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿95﴾} [سورة البقرة]

ويقول ربنا عزّ وجل {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿6﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿7﴾} [سورة الجمعة]

وجه الإعجاز ممّا سبق:

يقول الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في تفسيره لآيتيّ البقرة "وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره, وفضح بها أحبارهم وعلماءهم. وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف. كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى -إذ خالفوه في عيسى ﷺ وجادلوا فيه- إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة. وقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت, فإن ذلك غير ضاركم، إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله. بل إن أعطيتم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها، والفوز بجوار الله في جنانه, إن كان الأمر كما تزعمون: من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا. وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم. فامتنعت اليهود من إجابة ﷺ إلى ذلك، لعلمها أنها تمنت الموت هلكت، فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها. كما امتنع فريق النصارى -الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى، إذْ دعوا إلى المباهلة- من المباهلة."

وأكمل -رحمه الله تعالى- تفسيره قائلاً "القول في تأويل قوله تعالى {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95)} وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود وكراهتهم الموت، وامتناعهم عن الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمني الموت, لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل، والموت بهم حال؛ ولمعرفتهم بمحمد ﷺ أنه رسول من الله إليهم مرسل، وهم به مكذبون, وأنه لم يخبرهم خبرا إلا كان حقا كما أخبر. فهم يحذرون أن يتمنوا الموت، خوفا أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب"

ونفس الحادثة تحكيها لنا آيتيّ سورة الجمعة, حيث يقول شيخنا ابن كثير -رحمه الله تعالى- " ثم قال تعالى: (قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى ، وأن محمدا وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين (إن كنتم صادقين) فيما تزعمونه, قال الله تعالى: (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي: بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور، (والله عليم بالظالمين)"

ويؤكّد ذلك ما رواه ابن عبّاس -رضي الله عنهما-: " قال أبو جهلٍ لئن رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلِّي عند الكعبةِ لآتِينَّه حتى أطأَ على عنقِه قال فقال لو فعل لأخذتْهُ الملائكةُ عَيانًا ولو أنَّ اليهودَ تمنَّوا الموتَ لماتوا ورأوا مقاعدَهم في النَّارِ ولو خرج الذين يُباهلون رسولَ اللهِ ﷺ لرجَعوا لا يجدونَ مالاً ولا أهلاً "[1]

فالشاهد ممّا سبق أن هؤلاء القوم (أي اليهود) الذين تميزوا بالخبث والغدر وشدة الحقد على النبي ﷺ وصحابته, لو أنهم كان لديهم أدنى يقين ببطلان نبوّته ﷺ وكذب ما جاء به من الوحي لما تردّدوا لحظة في تكذيب القرآن الكريم خاصة بعدما استفزّهم وحكم عليهم في حضورهم بأنهم لن يقدروا على تمنّي الموت! بل لاتّخذوها فرصةً للقضاء على رسالته وإثبات كذبه أمام العدو والصديق (حاشاه ﷺ) لكّنهم نكصوا على أعقابهم مهزومين وما استطاعوا إجابة التحدّي القرآني ببِنِت شفه.

بل خُلِّدت هزيمتهم كدليلٍ على صدق رسالة النبي ﷺ وصدق القرآن الكريم الذي حكم عليهم بالعجز والسكوت وأنّه بالفعل كلام العليم الحكيم سبحانه وتعالى.

قطع الطريق أمام ترقيعات الملحد الغريق:

هذا التحدّي القرآني لليهود الوارد في سورتي البقرة والجمعة موجّه لفئة معيّنة في فترة زمنية محدّدة أي أن هذا التحدّي خاص باليهود الذين عاصروا النبي ﷺ في المدينة المنوّرة.

فلا داعي لأن يقفز علينا ملحدٌ مسكين بمنتهى السذاجة ويعترض علينا بأنه يمكن أن يأتينا بأمثلةٍ معاصرة عن يهودٍ مصابين بالإكتئاب يتمنّون الموت ويفكّرون بالإنتحار! فلا سياق الآيات والروايات المفسّرة لها يدعم هذا الاعتراض المضحك من جهة, ولا يوجد أي فقيه أو عالم معتبر من السلف والخلف قد ادّعى أن هذا التحدّي مفتوح أمام اليهود حتى قيام الساعة من جهة أخرى!

[1] المحدث : الألباني |المصدر : السلسلة الصحيحة | الصفحة أو الرقم 7/872 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

3ـ إخبار القرآن بهزيمة المشركين أمام المسلمين، وهو ما حدث بالفعل في غزوة بدر المُباركة:

ويظهر ذلك في قوله سبحانه وتعالى في سورة القمر {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿44﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿45﴾}.

وجه الإعجاز ممّا سبق:

أن هذه الآيات نزلت على النبي ﷺ تبشّره والمؤمنين بالإنتصار على أعدائهم من مشركي قريش, بالرغم من أن نزولها كان بمكة أين كان المسلمون مستضعفين أشدّ الاستضعاف من تعذيبٍ وتقتيل وتضييق على بني هاشم مثلما وقع لهم خلال السنوات الثلاثة المعروفة في شعاب أبي طالب.

فلم يكن حينها أي وجود لأمارات النصر وإنقلاب الموازين على أرض الواقع لصالح المسلمين لذلك يقفز علينا السؤال المنطقي المُلّح:

لو كان النبي ﷺ مُدّعيًا للنبوة زورًا, فما الذي جعله يخاطر بمكانته الدينية ويضعها على المحك وهو لا يدري أصلاً هل سيصمد أتباعه قليلي العدد لشهورٍ إضافية ويبقون على قيد الحياة أم أن المطاف سينتهي بهم إلى الإبادة التامة على يد مشركي قريش أو الرّدة عن دينهم بسبب طول فترة التعذيب الشديد؟!!

وضِف على ماسبق, لمّا خرج النبي ﷺ بجيشه قاصدين قافلة أبي سفيان من أجل إسترجاع أموال المسلمين المنهوبة لكن سُرعان ما تدارك أبو سفيان الأمر وغيّر مسار رحلته فارًّا بالأموال بعدما وصلته أخبار توجّه جيش المسلمين نحوه, الأمر الذي أدّى إلى إنقلاب الأحداث رأسًا على عقب ويجد الجيش الذي خرج ونيّته فقط استرجاع حقوق المسلمين المسلوبة نفسه مُعسكِرًا في منطقة بدر وأمامه جيشٌ يفوقه عددًا بثلاثة أضعاف بقيادة أشجع صناديد مكّة!

وهنا مجددًا تواصل الأسئلة المنطقية المُلحّة الظهور أمامنا: بما أن النبي ﷺ لم تكن نيّته في الخروج بجيشه سوى استرجاع أموال المسلمين, لماذا إذًا لم يعد أدراجه بعد أن علم بهروب أبي سفيان وقافلته وبالتالي إنتفاء العلّة التي خرج لأجلها؟؟ لو كان حقًّا كذّابًا مدّعيًا للنبوة (حاشاه سيدي ﷺ) فلماذا إذًا لم يستغلّ الفرصة ويخبر أتباعه بأن هروب أبي سفيان بقافلته هو تفسيرٌ لآية سورة القمر {سيُهزم الجمع ويولّون الدُّبر} فالآية بحد ذاتها توحي بالهروب والتراجع؟؟! لماذا خاطر بحياة أتباعه وحياته من باب أولى وأصرّ على التقدّم بجيشه نحو آبار بدرٍ وخوض معركةٍ لم تكن هدفه من الأساس من جهة وعِلمه بعدم تكافؤ الموازين بينه وبين جيش مكّة من جهة أخرى؟؟!

أسئلة سهلة وواضحة لا تتطلّب سوى عقولٍ منصفةٍ محايدةٍ متجرّدةٍ للحق لتنطق بالإجابة التي لن تكون سوى: أنّ الذي بشّر المسلمين وهم في أشدّ اللحظات ضعفًا بالنصر الساحق على عدوّهم وأنه سيولّي الادبار رُعبًا منهم لم يكن أحد الدجاجلة النكّرات... بل الذي كان يُتلى على مسامعهم هو كلام من لا يعزُب عن علمه مثقال ذرّة لا في السماوات ولا في الأرض, عالم الغيب والشهادة, الله ربّ العالمين.

إثبات أن سورة القمر كلها مكيّة:

أن سورة القمر من السور المتّفق على مكيّتها ونجد ذلك في:
تفسير الطبري لسورة القمر, وتفسير إبن كثير كذلك, تفسير مقاتل (٤/ ١٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٢٩٧)، والبيان لابن عبد الكافي (ق ٥٩/ ب)، والتنزيل وترتيبه (ق ٢٢٣/ أ)، والبيان للداني ص (٢٣٦)، والنكت والعيون (٤/ ١٣٤)، والوسيط (٤/ ٢٠٦)، ومعالم التنزيل (٧/ ٤٢٥)، والكشاف (٤/ ٤٣)، والمحرر الوجيز (١٥/ ٢٩١)، وزاد المسير (٧/ ٢٤١)، والتفسير الكبير (٢٩/ ٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٢٥)، وتفسير الخازن (٤/ ٢١٧)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٢)، وتفسير البيضاوي (٢/ ٤٤٥)، والبرهان (١/ ١٩٣)، وبصائر ذوي التمييز (١/ ٤٤٥) وقال: "بالاتفاق"، ومصاعد النظر (٣/ ٣٩) وقال: "إجماعًا"، وتفسير الجلالين ص (٧٠٤)، وتفسير أبي السعود (٨/ ١٦٧)، وفتح القدير (٥/ ١١٩)، وروح المعاني (٢٧/ ٧٣)، وتفسير القاسمي (١٥/ ٢٥٩) والتحرير والتنوير (٢٧/ ١٦٥)
ما جاء عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال:"سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً، فَانْشَقَّ القَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، فَنَزَلَتْ {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ} [القمر: 1]- إِلَى قَوْلِهِ – {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر: 2] يَقُولُ: ذَاهِبٌ"[1]
ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في صحيح البخاري أنها قالت:"لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ، {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ} [القمر: 46]"
وهي معدودةٌ ضمن القسم المكّي في الروايات التي عدّدت المكي والمدني, ونجد ذلك في:
تنزيل القرآن ص (٢٦)، وفضائل القرآن لأبي عبيد ص (٢٢١)، وفهم القرآن ص (٣٩٥ - ٣٩٦)، وفضائل القرآن لابن الضريس ص (٣٣)، والبيان لابن عبد الكافي (ق ١٢/ ب)، والفهرست ص (٤٢ - ٤٣)، والبيان للداني ص (١٣٣ - ١٣٤، ١٣٦)، ودلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣)، وجمال القراء (١/ ٧)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٦١ - ٦٢)، والمدد في معرفة العدد (ق ٣٦/ أ)، وفضائل القرآن لابن كثير ص (١٦٣ - ١٦٤)، والإتقان (١/ ٨١) ...

[1] أخرجه الترمذي في سننه, أبواب التفسير, سورة القمر (72/5) رقم (3340) وقال " حسنٌ صحيح " وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (111/3)

أمّا ما نسبه ابن عبد الكافي في البيان (ق ٥٩/ ب) القول بمدنيتها إلى الحسن، فهو قول شاذ ولم تصح نسبته إلى الحسن، وهو مخالف للأدلة الصريحة في نزول السورة بمكة.

4ـ إخبار القرآن بانتصار الروم على الفرس من بعد الهزيمة:

وذلك في قوله سبحانه وتعالى في أول سورة الروم ﴿الٓمٓ ﴿1﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿2﴾ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿3﴾ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿4﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿5﴾﴾

وجه الإعجاز ممّا سبق:

من المعروف لدينا أن " **الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره** " فالعِلم بالحالة الإقتصادية والعسكرية والإجتماعية لدولتيّ فارس والروم ثم توقع إنتصار إحداهما على الأخرى ليس بالأمر الهيّن كما يتصوّره من يعيش في عصر التطور وسرعة المعلومة أين أصبح العالم قريةً صغيرة بدون مبالغة! بل يحتاج ذلك إلى معرفة دقيقة من مصادر مؤكّدة من نخبة القيادة ورجال السياسة المُقرّبين من كل دولة... وهذا قطعًا لا يتصوّره عاقلٌ دارسٌ للبيئة التي عاش فيها النبي ﷺ وقومه.

وممّا يُقوّي طرحنا ويدعمه أكثر, أنّه لو كان سهلاً على أهل مكّة ومن شابههم في ظروف معيشتهم توقّع إنتصار الإمبراطورية البيزنطية (الروم) على فارس لما عرضوا على أبي بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- مراهنتهم حول هذا الموضوع (كان ذلك قبل تحريم الرهان), وهم الذين اشتُهروا بتجاراتهم الكثيرة التي منها كانت نحو الشام والتي بدورها كانت تحت سيطرة البيزنطيين... نقرأ في صحيح الترمذي من رواية نيار بن مكرم الأسلمي-رضي الله عنه-: "لمّا نزلَت (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) فَكانت فارسُ يومَ نزلَت هذِهِ الآيةُ قاهرينَ للرُّومِ وَكانَ المسلِمونَ يحبُّونَ ظُهورَ الرُّومِ عليهم لأنَّهم وإيّاهم أَهْلُ كتابٍ وفي ذلِكَ قولُ اللَّهِ تعالى وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ وكانت قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهورَ فارسَ لأنَّهم وإيّاهم لَيسوا بأَهْلِ كتابٍ ولا إيمانٍ ببَعثٍ فلمّا أنزلَ اللَّهُ هذِهِ الآيةَ خرجَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ يصيحُ في نواحي مَكَّةَ "الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ" قالَ ناسٌ مِن قُرَيْشٍ لأبي بكرٍ فذلِكَ بينَنا وبينَكُم زَعمَ صاحبُكَ أنَّ الرُّومَ ستَغلِبُ فارسَ في بِضعِ سنينَ أفلا نراهنُكَ على ذلِكَ قالَ بلى وذلِكَ قبلَ تحريمِ الرِّهانِ فارتَهَنَ أبو بكرٍ والمشرِكونَ وتواضَعوا الرِّهانَ وقالوا لأبي بكرٍ كم تجعلُ البِضعُ ثلاثُ سنينَ إلى تِسعِ سنينَ فسَمِّ بينَنا وبينَكَ وسطًا تنتَهي إليهِ قالَ فسمَّوا بينَهُم ستَّ سنينَ قالَ فمَضتِ السِّتُّ سنينَ قبلَ أن يَظهروا فأخذَ

المشرِكونَ رَهْنَ أبي بكرٍ فلمّا دخلتِ السَّنةُ السّابعة ظَهَرتِ الرُّومُ على فارسَ فعابَ المسلِمونَ على أبي بكرٍ تَسميةَ ستِّ سنينَ قال: لأنَّ اللَّهَ تعالى قالَ في بضعِ سنينَ قالَ وأسلمَ عندَ ذلِكَ ناسٌ كثيرٌ "[1]

بل لو سلّمنا جدلاً أن توقع النبي ﷺ لإنتصار الروم على الفُرس نابعٌ عن إجتهاد شخصي واستقراءٍ للمعلومات والمعطيات المتوفرة لديه فسيكون توقّعه هذا ضربًا من الجنون الذي لا يتفوّه به إنسانٌ عاميّ فضلاً عن خبيرٍ عسكري واقتصادي, لماذا؟!!

لأن هذا التوقّع مصادم للمعطيات التاريخية زمن نزول الآيات الكريمة, فهِرقل نفسه لم يكن حكمه يتجاوز أسوار عاصمته القسطنطينية بعد أن اجتمعت عليه عداوة الفرس والإضطرابات الداخلية وقُطّاع الطرق وانقطاع القمح والغلال المستوردة من الشام ومصر، حتى اضطر الناس في دولته لأكل جلود الميتة![2]

ونجد كذلك المؤرّخ الإنجليزي الشهير إدوارد جيبون يقول: "لقد تقلصت الإمبراطورية الرومانية في عاصمتها، وسدت جميع الطرق في حصار اقتصادي قاس، وعم القحط، وفشت الأمراض الوبائية، ولم يبق من الإمبراطورية غير جذور شجرها العملاق. وكان الشعب في العاصمة خائفاً يترقب ضرب الفُرس للعاصمة، ودخولهم فيها. وترتب على ذلك أن أُغلقت جميع الأسواق، وكسدت التجارة، وتحولت معاهد العلم والثقافة إلى مقابر موحشة مهجورة"[3]

فمن أين للنبي ﷺ هذه الثقة والجُرأة ليخرج على قومه ويدّعي أمامهم أن الروم البيزنطيين سينتصرون على إمبراطورية فارس التي فاقتهم قوّةٍ من كل النواحي زمن نزول آيات سورة الروم؟!! وليس هذا فقط بل وحدّد لهم المدة التي سيقع فيها هذا النصر وهي "**بِضع سنين**" والبِضع في لغة العرب يكون بين الثلاثة والتسع (أو بين الثلاث والعشرة) كما هو مذكورٌ في رواية مراهنة مشركي مكّة لأبي بكرٍ الصديق -رضي الله عنه-.[4]

ومع ذلك نجد أن كلامه ﷺ قد تحقق بالحرف, وانتصرت الإمبراطورية البيزنطية (الروم) على إمبراطورية فارس ولم تتجاوز مدّة إنتظار هذا النصر المدّة التي ذكرها القرآن الكريم ألا وهي "**بضع سنين**" رغم الضعف الشديد الذي عانى منه الروم لكن قدّر الله سبحانه وتعالى أسبابًا كونية خلال هذه المدّة القصيرة نسبيًا, قلبت موازين القوى لصالحهم.

---

[1] الراوي : نيار بن مكرم الأسلمي |المحدث : الترمذي |المصدر : سنن الترمذي |الصفحة أو الرقم :3194 |خلاصة حكم المحدث : صحيح حسن غريب
وحكم الشيخ الألباني رحمه الله على إسناد الرواية في (صحيح الترمذي) برقم 3194 وقال : حسن
وأخرج الرواية شعيب الأرنؤوط في كتابه " تخريج مشكل الآثار (7/ 442) وقال : إسناده حسن
وكذلك ابن خزيمة في كتابه التوحيد (404/1) وأشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح

[2] الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها للدكتور محمود عمران ص71

[3] اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها (74/5)

[4] للاستزادة أكثر يُرجى مراجعة: لسان العرب لإبن منظور , مختار الصحاح للجوهري , مقاييس اللغة لإبن فارس , عمدة الحفاظ للسمين الحلبي

فلا نتعجّب إذا قرأنا اعتراف جيبون وهو يقول: "في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعًا؛ لأن السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية"[1]

فهل آيات سورة الروم هي من كلام محمدٍ ﷺ الرجل العربي الأميّ الذي عاش في بيئةً معزولة لم تكن تهتم بدقائق الأمور الواقعة بين قوى العالم المتنازعة ومعرفتها عنها شحيحة جدًا؟؟ أم أنه كلام علّام الغيوب الذي هو بكل شيءٍ عليمٍ سبحانه وتعالى؟!!

النوع الثانى: إعجاز غيب الماضى

1ـبناء فرعون صرحا إلى السماء:

تأملوا معي حال الأب "لودوفيكو مراتشي Ludovico Marraci" وهو يحاول الطعن في مصداقية القرآن التاريخية حول رغبة فرعون في بناء صرح يطّلع به إلى إله موسى، حين قال:" قد خلط محمّد (ﷺ) القصص المقدّسة، فقد اعتبر أنّ هامان هو مستشار فرعون، بينما في الحقيقة كان مستشارًا لأخشوروش ملك فارس، كما أنه ظن أن الفرعون أمر ببناء صرح مرتفع يطلع عليه، ممّا لا شكّ فيه أنّ محمّدًا استعار قصّة الصرح هذا من قصّة برج بابل. ومن المؤكّد أنه لا يوجد في الكتاب المقدس مثل هذه القصّة عن فرعون ومع ذلك، فقد روى محمد ﷺ

The link between Firʿawn's *ṣarḥ* and the Tower of Babel has been highlighted by anti-Islamic polemicists for centuries. The first scholar to draw attention to the issue was Father Marraccio, confessor to Pope Innocent XI, who published his annotated translation of the Qurʾān (into Latin) in the late seventeenth century. In commenting on the *ṣarḥ*, Marraccio states:

> Mahumet has mixed up Sacred Stories. He took Haman as an adviser of Pharaoh whereas in reality he was adviser of Ahasuerus, King of Persia. He also thought that the Pharaoh ordered construction for him of a lofty tower from the top of which he could see the God of Moses which if true would be inferior to him. There is no doubt that he borrowed the story of this tower from the story of the Tower of Babel. It is certain that in the Sacred Scriptures there is no such story of the Pharaoh. Be that as it may, [Mahumet] has related a most incredible story.[7]

[1] إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها (74/5)

قصة لا تصدق". لو لاحظنا لوجدنا أن أوّل عالِم لفت الانتباه إلى هذه المسألة هو الأب مراتشي، في أواخر القرن السابع عشر ثم تبعه المستشرقون من بعد، وتأملوا كيف الله يخرج بهذه الشبهات أقوامًا من دينه ما صدقوا معه وكيف يمكر بالحاقدين ويحول شبهاتهم بعد حين إلى دليلاً على صدق نبيه، ففي كتابات "الأب مراتشي" في القرن السابع عشر اعترف بأن الكتاب المقدس لم يذكر أن هامان وزير فرعون ولم يصرح في أي مكان حول رغبة فرعون في بناء صرح أو تواجد الطين المحروق لبناء الصرح ووصف القصة القرآنية بأنها قصة لا تصدق وغير مشابهة للكتاب المقدس، لتتلقفها كتابات المستشرقين فيما بعد.

ليأتي بعد قرنين من زمنه عالم المصريات الشهير **"السير فلندرز بيتري"** ويدمّر كل ما كتبه مراتشي بعد دراسته للنقوش الهيروغليفية القديمة ويصرح بعدها إن فكرة صعود الفرعون برجًا أو درجًا للوصول إلى إله موسى، كما ورد في القرآن، تتوافق مع أساطير مصر القديمة حول طلب الفرعون في بناء سلم أو برج للصعود والتحدث مع الآلهة. وهذا في كتابه الحياة الدينية في مصر القديمة Religious Life In Ancient Egypt ويقول: "يقف الفرعون أمام الآلهة ويظهر سلطته يأمرهم ببناء سلم حتى يتمكن من الصعود إلى السماء. فإن لم يطيعوا فلن يكون لهم طعام ولا تقدمات... وهو أيضًا من ينصب الآلهة على عروشها، وبذلك يثبت أن الكون يعترف بقدرته المطلقة".

> Standing before the gods, the Pharaoh shows his authority. He orders them to construct a staircase so that he may climb to the sky
>
> When the Pharaoh completes his climb, magic at his feet "The sky trembles", he asserts, "the earth shivers before me, for I am a magician, I possess magic". It is also he who installs the gods on their thrones, thus proving that the cosmos recognises his omnipotence.

ويصرح بعدها مباشرة بقوله:"تم التعبير عن الرغبة في الصعود إلى الآلهة في السماء من خلال الرغبة في صعود

Egyptologist Sir Flinders Petrie in his book *Religious Life In Ancient Egypt* says:

> The desire to ascend to the gods in the sky was expressed by wanting the ladder to go up.... When the Osiris worship came to Egypt, the desire for the future was to be accepted as a subject in the kingdom of Osiris. When the Ra worship arrived, the wish was to join the company of the gods who formed the retinue of Ra in his great vessel in ‘'he sky.

سلم".

إن فكرة بناء فرعون لبرجًا ليصل به إلى إله السماء وجدت في الكتابات الهيروغليفية في مصر القديمة، واليوم اصبحت معلومة معروفة وهذه قصة ليس لها علاقة بالقصة التوراتية عن " برج بابل " والتي يدّعي مراتشي والمستشرقين الذين جاؤوا من بعده أن محمد اختلط عليه الأمر فيها.

ولكن سؤال, أين هذا الصرح الذي أمر فرعون ببنائه؟!

الذي أخبرنا بقصة صرح فرعون لأول مرة في التاريخ هو القرآن الكريم ليتنبأ بمعلومة غائبة عن بال البشرية من قبل وصدق في تفاصيلها وفي ذات الآيات يقول الله عزّ وجل عن العمارة التي كان يبنيها فرعون **{وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ}** [الأعراف:137]

ومن المعلوم أنه سبحانه وتعالى دمّر كل ما بناه فرعون مثل صرح هامان وغيره، كما جاء في التفسير الوسيط وغيره.

وهنا مجدّدًا يُطرح سؤال آخر: كيف علم النبي ﷺ هذه الحقيقة التاريخية في حين كان من المستحيل الوصول إليها ماديًا بسبب انقراض اللغة الهيروغليفية قبل قرنين من نزول القرآن؟ أضف إلى هذا أنه لم يرد في أي كتاب قبل الإسلام هذه المعلومة حول رغبة الفرعون بالصعود إلى السماء فأي سفسطة غير مسحوق الصدفة السحري يمكن استخدامها هنا؟؟!

2ـ الإعجاز الغيبي باعتقاد المصريين ببكاء السماء:

كان اعتقاد المصريين القدماء أن السماء تبكي على موت ملوكهم ويذكر عالم الآثار والمصريات والمؤرخ الأمريكي جيمس هنري بريستد James Henry Breasted في الصفحة 87 من كتابه فجر الضمير The Dawn of Conscience أن من الشعائر الجنائزية عند المصريين القدماء كانت مكتوبة بالهيروغليفية (التصويرية) التي تقام عند موت الملك وهي كالتالي"إذ يقول المحزونون على الملك: السماء تبكي من أجلك، والأرض تزلزل من أجلك".

وفي كتاب نصوص الهرم لعالم المصريات الأنجليكاني صموئيل ألفريد براون يذكر بعض ترجمة النقوش الجنائزية للمصريين القدماء التي كانت تقام عند موت ملوكهم وهي تقول كالتالي:[1]

- 1365 السماء تبكي عليك، من أجلك الأرض ترتجف

- 1355 المرأة تندب عليك؛ يحزن عليك مين العظيم.

- 1366 تهيج القدمان لك، تلوح الأيدي لك،

- 1366 عندما تصعد الى السماء كنجم الصباح.

-1367 جاءك (ن) إليك، أبوه؛ جاء إليك يا جب.

- 1367 اتحد بأمواتك يا آلهة.

ثم تأمل بعد هذا قول الله تعالى في سورة الدخان بعد اهلاك فرعون: **{وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (29)}** [سورة الدخان] فهل كان النبي ﷺ يخمن هذا ردًا على إعتقادهم "أن السماء ستبكي عليه والأرض سترتعد" على موت فرعون وملأه أم أنها صدفة عابرة ينبغي علينا تركها الآن وتحويل اهتمامنا نحو زواج أمنا عائشة -رضي الله عنها- بعمر التاسعة؟ ولماذا لم يذكر الديناصورات؟ أم تُراه إستخدم الانترنت مرة أخرى من شعاب مكة؟!

[1] The Pyramid Texts Translated By Samuel A. B. Mercer p352

ملحوظة مهمة:
لم يُذكر اعتقاد المصريين ببكاء السماء على ملوكهم لا في الكتاب المقدس ولا في عاديات اليهود ولم تُذكر إلا في النقوش الهيروغليفية, ومعلوم أن حجر رشيد Rosetta Stone وهو مفتاح حل لغز الكتابة الهيروغليفية المصرية أُكتشف عام 1799م على يد الضابط/الملازم بيير فرانسوا بوشار أثناء الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ثم تم فك رموزها عام 1822م على يد العالم والمختص في علم اللغة المستشرق الفرنسي جان فرانسوا شامبليون ,مع العلم أن هناك علماء مسلمين قد سبقوا شامبليون إلى فك رموز اللغة الهيروغليفية المصرية .أو بعضها على الأقل مثل ذي النون المصري وابن وحشية النبطي وغيرهم.

3ـ مصطلحا فرعون وملك:

" من المثير للاهتمام عند ذكر القرآن لقصة يوسف لم يشر أبدًا إلى أن حاكم مصر في تلك الفترة يلقب بالفرعون بل أُطلق عليه اسم الملك في حين أنه عند ذكر قصة موسى ذُكر بوضوح إسم فرعون! بينما في الكتاب المقدس يدعو ملك مصر في عهد يوسف وعدو موسى بكلا الفترتين باسم فرعون!!
قد يفكر المرء أنه لا توجد مشكلة هنا، باستثناء أنه عندما نحاول تحديد مكان يوسف في التاريخ، نجد أن السلالة الحاكمة لمصر في ذلك الوقت كانت في الواقع الهكسوس الذين كانوا ساميين عرب واستخدموا مصطلح ملك ولم يستخدموا مصطلح فرعون الذي كان يستخدمه المصريون الأصليون لحكامهم، وكان حاكم مصر في عهد موسى مواطنًا مصريًا حل محل الهكسوس وبدأ في قمع سبط إسرائيل.
فإذا كان محمدٌ ﷺ قد نسخ من الكتاب المقدس فلماذا لم يقع في هذا الخطأ التاريخي؟ ومن أين حصل على مثل هذه المعلومات الدقيقة؟
لم تكن هناك جامعات بها أقسام لعلم المصريات في ذلك الوقت وقد ضاعت معرفة النقوش الهيروغليفية منذ مئات السنين، ولم تُعرف مرة أخرى حتى إكتشاف حجر رشيد قبل سنوات... هذا يجعل الجزء الثاني من المعلومات أكثر روعة! "[1]

4ـ إدعاء فرعون الألوهية:

قال الله تعالى ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24]

[1] the man in the red underpants a.r.e. green P34

وقال كذلك سبحانه وتعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي} [القصص: 38]

لم تذكر التوراة **إدعاء فرعون للألوهية** وخالفها القرآن في ذلك، وهذا من أنباء الغيب الذي تفرد به الخبر القرآني عن أي كتابٍ في زمنه ولن تجد نصًا في التوراة أو الإنجيل يذكر إدعاء فرعون الألوهية كمعضلة لمن يسأل، فهذه الآيات من أقوى دلائل النبوة، إذ أن الخبر القرآني هذا جاء من رجل في صحراءٍ في ظل غيابٍ تام للنقوش الهيروغليفية في بال البشرية في زمنه مع غياب أي أدبيات قبله تذكر هذا الخبر، فلو كان محمد نقل من الكتاب المقدس ومن أحبار اليهود كما يزعمون فلماذا أضاف معلومة تاريخية غير موجودة في تلك الكتب وجعلها محور القصة في الكتاب الذي جاء به؟! بل ويتحدث عنها مرارًا وتكرارًا, بل مدار قصة القرآن عن موسى وفرعون هو إدعاءه للألوهية وأنه طغي بهذا القول وبلغ مبلغًا شديدًا.

فكيف يمكن تفسير إضافة محمد بن عبدالله ﷺ لهذا الخبر غير الموجود في عصره أو عصر من سبقوه وجعله موضوعًا رئيسيًا في كتاب **القرآن** الذي يدعي هو بأنه "وحي من الله واخبارًا له عن أنباء الغيب"؟! وكيف له أن يخاطر بهذه المعلومة ويكررها أكثر من مرة وكأنه متأكدًا منها؟!

هذا الخبر وحده يقطع بصدق النبوة بعد الشواهد والنقوش التي ظهرت في القرن العشرين وتحديدًا مطلع عام 1905م, وركزوا علي هذا التاريخ لأنه مهم جدًا عند الحديث عن إرتباك المستشرقين.

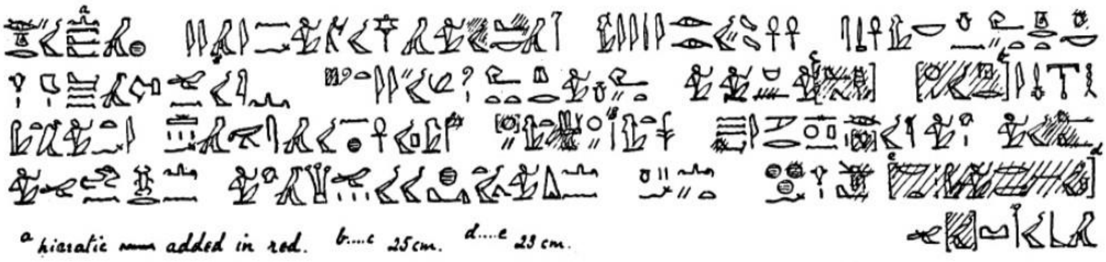
فتجد ديفيد ب. سيلفرمان وهو أستاذ علم المصريات ورئيس أمين متحف جامعة بنسلفانيا للآثار والأنثروبولوجيا يقول في كتابه **الدين في مصر القديمة**:" بحلول أوائل الدولة الحديثة، أصبح تأليه الملك الحي ممارسة راسخة، ويمكن عبادة الملك الحي نفسه وطلب المساعدة منه كإله"[1]

وتجدون البروفيسور وعالم المصريات الشهير نجيب قنواتي مدير المركز الأسترالي للدراسات المصرية بجامعة ماكوري في أستراليا. يقول في كتابه Conspiracies in the Egyptian Palace : "بالنسبة للمصريين، لم يكن الملك بشرًا عاديًا لأنه جمع بين الكيانات البشرية والإلهية، كان همزة الوصل بين الإنسان وعالم الآلهة في الحياة والآخرة, كان الملك يمتلك كل شيء وكان مصدر كل السلطات، كان مركز كل الوجود"[2]

[1] Religion in Ancient Egypt by David P. Silverman p64

[2] CONSPIRACIES IN THE EGYPTIAN PALACE by NAGUIB KANAWATI p1

ويكشف الفحص المدروس لمجموعة مختارة من مصادر الآثار من عصر الدولة الحديثة مثل البرديات والكتابات الهيروغليفية والأيقونات المرتبطة بها، أن الفرعون كان يعتبر إلهًا حيث ادّعوا أن روح الإله تتجسد بالفرعون، وكان يشرع لقومه ما يعبدونه من آلهة أخرى اعتمادًا على طاعتهم له، تم تلخيص هذا بشكل جيد وواضح بعد العثور على نقوش في مقبرة الوزير الشهير رخمير رع تحتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة في عصر الدولة الحديثة. يحتل النقش الجدار الطرفي الجنوبي لمقبرة رخمير رع ويتكون من 45 سطرًا من الكتابة الهيروغليفية



Rekhmerēʿs relation to the king (ll. 16-19)

... What is the king of Upper Egypt? What is the king of Lower Egypt? He is a god by whose dealings one lives. [He is] the father and mother [of all men]; alone by himself, without an equal .

مطلية باللون الأخضر على سطح من الجبس.

وتجدون ترجمة عالم المصريات وعالم الآثار الهولندي هينري فرانكفورت لهذا النقش في كتابه قائلاً:" تكمن السلطة العظيمة لشخصية الفرعون في الآثار الدينية للمملكة المصرية، تم التعبير عنها بإيجاز عندما كتب الوزير رخمير رع في قبره [ما هو ملك صعيد مصر العليا والسفلى؟ إنه إله بمعاملاته يحيا المرء. هو الأب والأم لجميع الرجال، وحيدًا بذاته لا نظير له]."[1]

وهنا السؤال: هل يمكن استخدام مسحوق الصدفة السحري في كل مرة وفي كل خبر غيبي؟! هل محاولة التهرّب من التكليف وتخدير الوعي بأن "لا إله ولا بعث" يستحق كل هذا العناء؟! هل عبادتك لشهوات النفس وهواها تستحق كل هذا الاعتراض على ما هو واضح؟!

[1] ANCIENT EGYPTIAN RELIGION by HENRI FRANKFORT p43

الرد على أشهر الإعتراضات والشُّبه حول الإعجاز الغيبي المستقبلي للقرآن الكريم

1ـ كيف نتأكّد بالفعل أن أبا لهب لم يقم بمُناقضة القرآن الكريم وأنّه مات كافرًا كما يدّعي المسلمون؟

تعمّدت طرح هذا السؤال والإجابة عنه حتى أقطع الطريق أمام أي سوفسطائي بائس سيحاول اللعب على وتر الرُّجميات والظنون التي لا تُغني من الحق شيئًا, وبالرغم من أن الظنون في ميزان العُقلاء لا يُجاب عنها ولا يُلتفت لها حتى تقترن ببيّنة واضحة إلا أننا بإذن الله ومعونته حتى هذا الأمل الصغير للملحد في التشغيب سنقضي عليه!

للإجابة عن هذا التساؤل (السفسطة) سنستعين بأداة عقلية معروفة ألا وهي السبر والتقسيم التي سبق وأن استعملناها وشرحناها في هذا الكتاب عند حديثنا عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ونقول:

لنفترض جدلاً أن أبا لهب فعلاً قام بمناقضة القرآن وتكذيب سورة المسد, هنا النبي ﷺ لن يظلّ ساكتًا وهو يشاهد دعوته الإسلامية على وشك الإنهيار, بل من المتوقّع عقلاً أن يُبادر هو الآخر بطرح حججه وردوده التي من خلالها يسعى إلى إيجاد حلٍّ للموقف الحرج الذي أوقعه فيه عمّه... هنا سيكون لدينا ثلاث احتمالات لا رابع لها:

الاحتمال الأول:

أن تكون الردود والحجج المضادة التي طرحها النبي صلى الله عليه وسلم قد أفحمت أبا لهب ودمغت محاولتَه تكذيب سورة المسد... وبهذا يكون النبي ﷺ قد ظفر بالانتصار لنفسه ولدعوته وضمِن بذلك استمرارها, وهنا من المُنتظر بداهةً أن نجد التاريخ الإسلامي قد حفظ لنا النصوص والمرويّات التاريخية التي تنقل لنا تفاصيل هذا الإنتصار, وطبعًا لن يجد المسلمون حرجًا في تناقلها بينهم لأنها أصلا تصب في صالحهم.

الاحتمال الثاني:

أن تكون هذه الحجج والردود المضادة التي طرحها النبي ﷺ ضعيفة وغير مقنعة لأتباعه وخصومه على حدٍّ سواء, وهكذا تكون الكفّة قد مالت بالكامل لصالح أبي لهب وكفّار مكّة وأصبح بذلك النصر حليفهم, ما سيشيع الردّة بين الصحابة بعدما تبيّن لهم يقينًا أن القرآن ليس بكلام الله الخالق العظيم... لتكون نهاية الدعوة الإسلامية

واندثارها من قبل أن تقوم لها أيّة قائمة.
ولن نكون نحن معاشر العقلاء في حاجة إلى بذل أدنى مجهود فكري لندرك أن كِلا الاحتمالين لا وجود له على أرض الواقع, وبالتالي لم يتبق لنا سوى الاحتمال الثالث وهو الأخير الذي لا بديل غيره:

أن أبا لهب أساسًا لم ينطق بكلمة واحدة لتكذيب سورة المسد ولا حتى زوجته قامت بذلك, بل عاشا كافرين محاربين للإسلام على مرأى ومشهدٍ من الناس حتى ماتا على ذلك...

فصدق الله العظيم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم وكذب كلُّ ملحدٍ سوفسطائي بائس!

تنويه سريع: نفس الإجابة والأسلوب الذي اتبعناه لإثبات أن أبا لهب قد مات على الكفر حقًّا ولم يعترض على سورة المسد التي أُنزلت فيه وفي زوجه, يمكنكم كذلك إسقاطه على الوليد بن المغيرة.

2ـ ماذا عن القول المنسوب إلى مُقاتل بكون آيات البشارة بالنصر في غزوة بدر مدنيّة؟ !

مُستند هذا القول ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال في قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥}" كان ذلك يوم بدر. قال: قالوا: نحن جميع منتصر، قال: فنزلت هذه الآية".
لاحظوا هنا أنّه حتى لو غضّينا الطرف عن صحة سند هذه الرواية من عدمه إلا أننا سرعان ما سنجد شذوذ متنها عن متون روايات أقوى منها صحةً, بل سنتيقّن من ذلك عندما نعلم أن إحدى هذه الروايات الأصحّ منها مرويةٌ عن إن عبّاس كذلك وليس فيها ما يوحي بنزول الآيات يوم بدر! فنقرأ في صحيح البخاري الحديث رقم 4877 من رواية ابن عبّاس -رضي الله عنهما-:" أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ وهو في قُبَّةٍ له يَومَ بَدْرٍ: أنْشُدُكَ عَهْدَكَ ووَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَومِ أبَدًا. فأخَذَ أبو بَكْرٍ بيَدِهِ، وقالَ: حَسْبُكَ يا رَسولَ اللَّهِ؛ فقَدْ أَلْحَحْتَ علَى رَبِّكَ، وهو في الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وهو يقولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}
[القمر: 45، 46]" وكذلك تكررت هذه الرواية من طريق آخر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في حديث البخاري مجددًا تحت رقم 2915 .
وواضحٌ جدًا من سياق روايتي ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ إنما قرأ الآيتين على سبيل الاستشهاد بهما لا أنهما نزلتا في يوم بدرٍ وإلا كنّا وجدنا التصريح بنزولهما بمنتهى الوضوح، كما اعتدنا ذلك في العديد من المرويّات التي تتكلم عن نزول السور والآيات ومنها حديث عائشة -رضي الله عنها- الذي سبق وذكرناه "لَقَدْ أُنْزِلَ علَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمَكَّةَ وإنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ، {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: 46]" والذي بدوره يُقويّ قولنا حول شذوذ رواية مقاتل وأنها ليست فقط مخالفة لإجماع المفسرين وأصحاب التصانيف بل

هي أيضًا مخالفة لما هو أصح منها وهي الأحاديث والنصوص التي تناولت نفس الموضوع.
وبالتالي يتضّح لنا يقينًا أن سورة القمر مكّية من أوّلها لآخرها.

3ـ الملحد السوفسطائي يرمي ورقته الأخيرة ويستنجد بمن سبقه من المستشرقين فهل من مجيب؟ !

بدل أن يُذعن السوفسطائي للحق الأبلج الواضح، يذهب يائسًا إلى قمامات التاريخ محاولا التنقيب بين مخلّفات المستشرقين الذين لا يقلّون بُؤسًا عنه، علّه يجد قشّة يتعلّق عليها بكفره, وفي الأخير خرج علينا بالآتي:

- مسألة ورود قراءة قرآنية أخرى تُفيد أن الفرس هم من سيغلبون الروم مرّة أخرى وأن النبي ﷺ قرأ بكلتا القراءتين فأيهما أصابت فسيدّعي أنها دليل على صدق نبوّته.
- المعركة الكُبرى التي أدّت إلى انتصار الروم على الفرس وقعت بعد 13 عامًا من انتصار الفرس وليس في بضع سنين كما يدّعي القرآن.

أ- مناقشة الاعتراض الأول: "ورود قراءة أخرى تُفيد أن الفرس هم من سيغلبون الروم مرّة"

الرد العقلي:

قد ثبت لنا بالنقل التاريخي الصحيح خوض أبي بكرٍ الصدّيق -رضي الله عنه- رهانًا مع مشركي مكّة حول موضوع الصراع بين فارس والروم وإنتصاره عليهم بعد تحقّق ما أخبر به القرآن الكريم... وانطلاقًا من هذه النقطة سيكون لدينا احتمالان:

الاحتمال الأول:

أن كِلتا القراءتين قد نزلتا قبل رهان أبي بكرٍ -رضي الله عنه- مع مشركي مكّة، وهذا احتمالٌ باطل إذْ كيف يتخيّل عاقلٌ قبول مشركي مكة خوض هذا الرهان غير العادل, بحيث لو تحقق ما راهن عليه أبو بكرٍ فسيعتبره المسلمون نصرًا لهم, ولو تحقق ما راهن عليه مشركو مكّة فسيكون كذلك نصرًا للمسلمين لأن الآيات لها قراءتين تحتملان معنيين مختلفين!! هذا رهانٌ خاسرٌ من كل الإتجاهات!!

الاحتمال الثاني:

أن يكون النبي ﷺ قد أظهر القراءة الثانية (الموجبة لانتصار فارس على الروم) بعد إنقضاء الأحداث وتحقق ما تنبأت به القراءة الأولى المشهورة: وهذا أيضًا باطلٌ أشدّ البطلان, إذْ كيف يتخيّل عاقلٌ أن يقوم النبي ﷺ (مع

فرض ادّعائه للنبوّة زورًا، حاشاه!) بتأليف كلامٍ جديد يشهد بتناقض نبوّته ويقدح في صحّة رسالته, ثم يقرأه على الناس علنًا بكل سهولة؟!! وهذا يقودنا إلى نتيجة منطقية وهي شذوذ القراءة الثانية وعدم ثبوتها عن النبي ﷺ.

الرد النصّي:

قراءتا {غَلَبَتْ} و {سيُغلبون} مخالفتان تمامًا لما تظافرت به القراءات الصحيحة المتواترة لدينا, وبعبارة أدق هما من القراءات الشاذّة التي لا تصحُّ تسميتها قرءانًا مُتعَبّدًا بتلاوته والصلاة به.

نقرأ من تفسير الطبري لسورة الروم في تعليقه على مسألة القراءات الواردة في الآيات الأولى: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم."

ويُوافقه على ذلك القرطبي في تفسيره قائلاً:" وَفِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ (يقصد القراءة الشاذّة) قَلْبٌ لِلْمَعْنَى الَّذِي تَظَاهَرَتِ الرِّوَايَاتُ بِهِ "

ومعلومٌ أن "مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين القراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية... فالشاذ ما ليس بمتواتر، وكل ما زاد الآن على القراءات العشرة فهو غير متواتر "[1]

كذلك القراءة المتواترة يجب اعتقادها والإيمان بها، ويكفر من يجحد بها بخلاف القراءات الشاذة فإنه يحرم اعتقادها بأنها من القرآن المقروء به المتعبد بتلاوته، بل يكفر من يعتقد أن القراءة الشاذة من القرآن إذا كان على علم بعدم ثبوت سندها، أو علم بمخالفتها لشرط من شروط القراءة المتواترة.[2]

أما من سيُحاول المرواغة عن طريق الاعتماد على الرواية التي يُدّعى فيها أن الألباني صحّح ألفاظها وهي: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : "لما كانَ يومُ بدرٍ ظَهرتِ الرُّومُ على فارِسَ فأعجَبَ ذلِكَ المؤمنينَ فنزلت الم غُلِبَتِ الرُّومُ -إلى قولِهِ- يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ قالَ ففرحَ المؤمنونَ بظُهورِ الرُّومِ على فارِسَ"... المصدر : صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: 3192 | خلاصة حكم المحدث: صحيح [لغيره]

فالرد على ذلك أن الحديث بهذا اللفظ لا يصح ولذلك قال الالباني رحمه الله صحيح لغيره، ويقصد: بلفظ الحديث الذي بعده وهذا ما صرح به في صحيح وضعيف سنن الترمذي حيث قال: "صحيح بما بعده (3193) ومضى برقم (3116)" والحديث الذي بعده يعارض هذا تمام المعارضة وهو نفس حديث ابن عباس -رضي الله عنه- في الاعلى, نقرأ من سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الروم برقم 3193:"حدثنا الحسين بن حريث حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق الفزاري عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن

---

[1] غيث النفع في القراءات السبع لأبي الحسن الصفاقسي ص14

[2] النشر في القراءات العشر المتواترة، لابن الجزري 14/1 بيروت، دار الكتب العلمية

جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الأرض) قال غلبت وغلبت كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل الأوثان وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا جعلته إلى دون قال أراه العشر قال أبو سعيد والبضع ما دون العشر قال ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله تعالى (الم غلبت الروم) إلى قوله (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) قال سفيان سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر" قال أبو عيسى(الترمذي) هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة.

و قد ذكر حديث آخر يؤيد ما ذهبنا اليه وهو حديث نيار بن مكرم الذي ذكرناه في الأعلى والذي حسنه الالباني -رحمه الله تعالى-.

أما سبب ضعف الحديث فلأن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف ومدلس وأبو سعيد المذكور كَراوي ليس هو أبو سعيد الخدري بل هو الكلبي وكان يكنيه عطية بأبي سعيد وهذا من تدليسه. نقرأ من تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني الجزء الثالث:

قال البخاري قال لي علي عن يحيى: عطية وأبو هارون وبشر بن حرب عندي سواء، وكان هشيم يتكلم فيه.

وقال مسلم بن الحجاج: قال أحمد وذكر عطية العوفي فقال: هو ضعيف الحديث. ثم قال: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي، ويسأله عن التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد وكان هشيم يضعف حديث عطية.

قال أحمد: وحدثنا أبو أحمد الزبيري :سمعت الكلبي يقول: كناني عطية أبا سعيد.

وقال الدوري، عن ابن معين: صالح.

وقال أبو زرعة: ليّن.

وقال أبو حاتم :ضعيف يكتب حديثه، وأبو نضرة أحب إليّ منه.

وقال الجوزجاني: مائل.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن عدي: قد روى عن جماعة من الثقات، ولعطية عن أبي سعيد أحاديث عدة، وعن غير أبي سعيد، وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وكان يعد مع شيعة أهل الكوفة.

قال الحضرمي: توفي سنة إحدى عشرة ومائة.

قلت: وقيل: مات سنة (27) ذكره ابن قانع، والقراب.

وقال ابن حبان في الضعفاء بعد أن حكى قصته مع الكلبي بلفظ مستغرب فقال: سمع من أبي سعيد أحاديث، فلما مات جعل يجالس الكلبي، ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله ﷺ: كذا، فيحفظه، وكناه أبا سعيد،

ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري، وإنما أراد الكلبي. قال: لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب. ثم أسند إلى أبي خالد الأحمر: قال لي الكلبي: قال لي عطية: كنيتك بأبي سعيد، فأنا أقول: حدثنا أبو سعيد."

والكلبي كذاب وضاع كما اتفق على ذلك أهل العلم, نقرا من كتاب المجروحين لابن حبان باب الميم:"

أخبرنا عبد الملك بن محمد، قَالَ: حدثنا عمر بن شبة، قَالَ: حدثنا أبو عاصم، قَالَ لي سفيان الثوري، قَالَ: قَالَ لي الكلبي ما سمعته مني عن أبي صالح، عن ابن عباس، فهو كذب.

أخبرنا الثقفي، قَالَ: سمعت عباس بن محمد، قَالَ: سمعت يحيى بن معين، يقول: الكلبي ليس بشيء .

أخبرنا عبد الملك بن محمد، قَالَ: حدثنا علي بن المديني، قَالَ: يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان، قَالَ: قَالَ لي الكلبي: قَالَ لي أبو صالح: كل ما حدثتك فهو كذب.

قَالَ أبو حاتم : الكلبي هذا مذهبه في الدين، ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه.

يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع منه شيئا، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فجعل لما احتيج إليه تخرج له الأرض أفلاذ كبدها.لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به"

ب- مناقشة الإعتراض الثاني "التشكيك في المدّة التي وقع فيها انتصار الروم على الفرس وأنها ليست في بضع سنين كما ذكر القرآن"

يقولون أن فارس انتصرت على الروم سنة (615 م = 7 ق.هـ), وانتصرت الروم على فارس انتصارًا نهائيًا سنة (628 م = 6 هـ) والفرق بين الانتصارين 13 سنة, فكيف يقول القرآن أن الانتصار سيحدث في بضع سنين؟!

والرد ببساطة شديدة: أن أصحاب هذا الاعتراض حمّلوا الآيات ما لم تحتمله وقوّلوا القرآن ما لم يقله.

فالقرآن الكريم لم يقل أن الروم سيردّون على هزيمتهم أمام الفرس بانتصارٍ نهائي ساحق, إنما مدار الآيات الكريمة كان حول انقلاب الموازين بين الإمبراطوريتين وبداية سلسلة انتصارات الدولة البيزنطية على فارس والتي ستُختم بالمعركة الأخيرة سنة 628 م التي كانت بالمدائن وكان فيها إجبار كسرى على عقد المصالحة وإعادة كل الأراضي البيزنطية في الشام، فمتى حدث انقلاب الموازين هذا بين الإمبراطوريتين؟ متى بدأت سلسلة انتصارات الروم على الفرس؟؟

الإجابة: كان ذلك بين عامي 622-623 م = 1-2 للهجرة, وهي بالضبط تقع ضمن الـ"**بضع سنين**" التي أخبرت بها آيات سورة الروم.

إذًا فانتصار الروم على الفرس الذي ذكره لنا القرآن الكريم لم يكن عبارة عن معركة واحدة فاصلة بل هو بداية لسلسلة من الإنتصارات التي قلبت الموازين بين الدولتين والتي كُلّلت في الأخير بمعركة المدائن أين أُرغِم كِسرى على

عقد الصلح بينه وبين الروم وإعادته لأراضيهم.[1]
والأهم من ذلك كلّه هو سكوت الأعداء المعاصرين للنبي ﷺ من مختلف الأصناف: المشركين الذين خسروا الرهان أمام أبي بكرٍ بصريح الروايات، والمنافقين الذين ماتركوا شاردة ولا واردة لتشكيك المسلمين في دينهم إلا وأتوا بها، اليهود الذين لا يقل حقدهم على الإسلام عن حقد المنافقين والمشركين بل ربما أكثر.. بالإضافة للفرس والروم أنفسهم, إذْ لم يسجّل التاريخ أن أحدًا أسلم منهم قد شكّك في صحة هذه النبوءة أو حتى استشكلها من باب التعلّم والمعرفة ولكم في الصحابيّين صُهيب الرومي وسلمان الفارسي -رضي الله عنهما- خير دليل.

[1] لمن يُريد التفاصيل والإستفادة أكثر, يُرجى مراجعة كتاب " إيران في عهد الساسانيين ", كريتنسن, ص431

الرد على أشهر الاعتراضات والشُّبه حول إعجاز غيب الماضي في القرآن الكريم

1ـ الرد على إتهام الأب "مراتشي" للقرآن بأنه أخطأ في ادعاءه أن هامان هو وزير فرعون:

ملخّص هذه التهمة هو دعواهم بخطأ القرآن بذكر هامان وزيرًا لفرعون لأن هامان كما يذكر سفر إستير في الكتاب المقدس كان شخصية شغلت منصب الوزير لأحشويروش ملك فارس وكان اسمه "هامان الأجاجي" وعاش في فارس بعد قرون من عصر موسى عليه السلام، وليس وزيرًا لفرعون.

لكن وجب الانتباه إلى أنّه لا يُمكن ترجيح خطأ القرآن إلا بإثبات أن قصة سفر إستير عن هامان في فارس صحيحة تاريخيًا وبغير ذلك لا تكون لهم حجة, أليس هذا عادلاً؟!

لنترك زمام الرد للدكتور سامي عامري في كتابه المتميّز [شبهات تاريخيّة حول القرآن الكريم: عرض ونقد] فقد فصّل المسألة تفصيلاً ممتازًا مدعومًا بالمراجع الأكاديمية المُحترمة كعادته جزاه الله خيرًا. يقول الدكتور:

"إستير بأكملها ليست سوى خُرافة اختَرَعَها يهودُ السَّبْي البابلي، ولا يوجد دليل تاريخي واحِدٌ على صِدْقِها, حتى قالت «الموسوعة اليهودية» لسنة 1910م إن قلة قليلة فقط من النقاد المعاصرين ترى أن هذه القصة تعتمد على أُسس تاريخية [1]، فالأغلبية الواسعة من المفسرين المعاصرين ترى أن هذا السفر بأكمله ليس سوى [قطعة من الخيال المحض] [2] أو بعبارة تعليق (The New Oxford Annotated Bible) فإنّ سِفْرَ إستير ليس تاريخا وإنّما خُرافة... أُريدَ منها تفسير أصل عيد الفوريم [3] ومعناه. [4]

---

[1] هذا إثبات لأصل القصة لا تفاصيلها!

[2] "Comparatively few modern scholars of note consider the narrative of Esther to rest on an historical foundation. The vast majority of modern expositors have reached the conclusion that the book is a piece of pure fiction" The Jewish Encyclopedia, ktav, 1925, 5/236

[3] عيد الفوريم: هو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بهلاك الوزير الفارسي هامان الذي دبر مؤامرة لإبادة اليهود في الإمبراطورية.

[4] Herbert G. May and Bruce M. Metzger, eds. The New Oxford Annotated Bible with Apocrypha New York: Oxford University, 1973, p.603

وبالصياغة المهذبة للآباء اليسوعيين: من الممكن أن يكون اليهود قد تَعَرَّضُوا لِتَعْنِيفاتٍ من هذا النوع في أثناء الحُكْمِ الفارسي. وقد حاك المؤلف حول ذكرها قصة خيالية.[1]

ومن أهم ما يُعتَرَضُ به على قِصَّةِ سِفْرِ إستير:

1. هذه القصة لم تُذْكَرْ في غير التَّوراة. وهذا المؤرخ الإغريقي هيرودت الذي عاصر الملك الفارسي المقصود إكزركزيس ودوَّنَ سيرَتَهُ، لم يُشِرْ إلى إستير ولا ما كان من أمرها.[2]

2. النَّبِيَّانِ عَزْرا ونحميا اللذان كانا من أوائل العائدين من بابل، واللذان قَصَّا قِصَّةَ السبي البابلي، لم يُشِيرًا إلى إستير ولا إلى أي شيء مما جاء في السفر المسمى باسمها.

3. لم يُعْثَرْ على هذا السِّفْرِ ضمن مخطوطات البحر الميت.

4. يَزْعُمُ سِفْرُ إستير أن الملك الفارسي لمَّا غَضِبَ مِنْ زَوْجَتِهِ عندما رَفَضَتْ أن تُظْهِرَ جَمَالَها لِنُدَمَائِهِ قَرَّرَ أن يعاقبها بأن يبحث عن فتاة جميلة في بلاده ليجعلها ملكة، ومن هذه البداية الساذجة بدأتِ القِصَّةُ.... وهذا أشبه بقصص أَلْفِ ليلة وليلة الخرافية.

5. من غير المقبول تاريخيًا أَنْ يَتَّخِذَ الملك الفارسي إستير زوجة ومردخاي وزيرا رغم أنهما على دين اليهودية. فهذا يتعارض مع اعتزاز الفُرْسِ بقوميَّتِهِمْ، خاصةً في ظل القوة الهائلة والتفوق الكبير للإمبراطورية الفارسية. وقد ذكر المؤرخ هيروديت أن الملك الفارسي لا يجوز له أنْ يَتَزَوَّجَ إلَّا من سبع عائلاتٍ نَبِيْلَةٍ حَصْرًا.[3]

6. الزوجة الوحيدة المعروفة عند المؤرخ هيروديت أنها اقْتَرَنَتْ بهذا الملكِ الفارسي هي Amestris. ولا صلة بين اسمها واسم إستير، كما أنها كانت ابنة قائد فارسي ولم تكن عبرانية.[4]

7. أشارت الموسوعة اليهودية إلى أَنَّ من أهم المطاعن في هذا السفر، القرار المزعوم بإهدار دم أعداء اليهود والذي نُفذ بعد ذلك، وهو زَعْمٌ لا دعامة تاريخية له، بالإضافة إلى أَنَّهُ يُخالِفُ ما يُتصوَّرُ من التحدي المسلح الذي لا بد أن يبدر من الأرستقراطيين. كما أنه لا يوجد دليل تاريخي على قرار إبادة اليهود الذي نُسِبَ لهامان ضِدَّ اليهود.[5]

[1] محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم دمشق: دار القلم، 1990م، ص 302

[2] عبد الجليل شلبي، مفتريات المبشرين على الإسلام الرياض: مكتبة المعارف، 1406هـ ، 1985م ، ط 2 ، ص 159

[3] Jon D. Levenson, Esther, a Commentary. London: Westminster John Knox, 2004, p.24

[4] Geoffrey W. Bromiley, International Standard Bible Encyclopedia Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982, 2/159

[5] The Jewish Encyclopedia, 5/236

8. أشارت الموسوعة اليهودية إلى مخالفة كثير من الأعراف المذكورة في سفر إستير لأعراف الفرس القديمة في ذاك الزمان؛ كالسَّماح للأجانب أن يَتَّصِلُوا بنساء الملك في الحريم، وعدم إمكانِ أَنْ تُرْسِلَ الملكة رسالة إلى زوجها، وتقسيم الإمبراطورية إلى 127 مقاطعة، وعدم معاقبة هامان الوزير لمردخاي اليهودي الذي رفض السجود له.[1]

9. جاء في وصف اليهود زمن الملك الفارسي الحاكم إبان القصة المزعومة: يوجَدُ شَعبٌ مُنتَشِرُ فَرِيدٌ بَينَ الشُّعوبِ فِي جَمِيعِ أَقَالِيمِ مَمْلَكَتِكَ، سُنَنُهم تُخَالِفُ سُنَنَ جَميعِ الشُّعوب، ولا يحفظون سُنَنِ المَلِك (إستير 3/8). وهذا الوصف ينطبق على اليهود بين اليونان لا بين الفرس.[2]

10. بَطَلُ القصة مردخاي كان من سبي عام 587 ق م (إستير 2/6)، ومن ثم فإنّه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي إكزركزيس الأَوَّلِ أي حوالي عام 482 ق. م يكون قد بلغ المئة والعشرين عاما، كما أَنَّ إستير يجب أن تكون في هذه الفترة عجوزا.

11. اضطراب ترجماتِ سِفْرِ إستير في نَسَب هامان؛ ففي حين يَذْكُرُ النص السبعيني اليوناني أن هامان رجل مقدوني (إستير 16/10)، يذهب النص العبري إلى أن هامان رجل «أجاجيّ» (إستير (3/1).

دفعت المعضلات التاريخية المتراكمة في سفر استير الناقد جون د. لفنسون[3] أن يقول في تعليقه على هذا السِّفر: الإشكالات التاريخية في سفر أستير على قدرٍ عظيم من الضخامة بما يُقْنِعُ كُلَّ مُصدِّقٍ بالكتاب المقدَّسِ، أَنْ يَشكَّ في صِحَّةِ هذه الرواية.[4] ويرفع البروفسور إسرائيل ب. لوكن - وهو أكاديمي من المحافظين سَقْفَ مِحْنَةِ هذا السفر اليوم؛ بإقرارِهِ أَنَّ كُلَّ النقاد المعاصرين تقريبا يُنْكِرُون تاريخية هذا الكتاب!![5] "اهـ كلام الدكتور سامي عامري -حفظه الله وبارك فيه-.[6]

فتخيل معي أنّ هذا السفر الذي يعتبرونه عملاً من خيالاً خالص بل يصفونه بـ"المهزلة تاريخية" هم أنفسهم يعتبرون مخالفة القرآن له خطأ تاريخي! فعند محاكمة القرآن أصبح هذا السفر حقيقة مطلقة! لن تستطيع الاستيعاب لكن لا بأس فهذا حال الاستشراق!

---

1 نفس المصدر السابق

2 نفس المصدر السابق 236/5

3 جون د. لفنسون Jon D. Levenson أستاذ الدراسات اليهودية. درّس في هارفارد وجامعة شيكاغو. حصل على عدد من الجوائز العلمية الكبرى.

4 Jon D. Levenson, Esther, A Commentary, p.23

5 Israel P. Loken, Esther, Loken Expositional Commentary Xulon Press, 2007, p.20

6 "شبهات تاريخيّة حول القرآن الكريم, عرض ونقد" للدكتور سامي عامري ص70-73

2ـلكن أليس القرآن مرّة يقرّر أن الفرعون ادعى الألوهية وحده ومرّة يقرّر أنه هناك آلهة أخرى معه كما في آية ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[الأعراف: 127]؟

نعود مجدّدًا للدكتور سامي عامري وكتابه الماتع [شبهات تاريخيّة حول القرآن الكريم: عرض ونقد] والذي قسّم الرد على هذا الاستشكال على وجهين:

الوجه الأول:

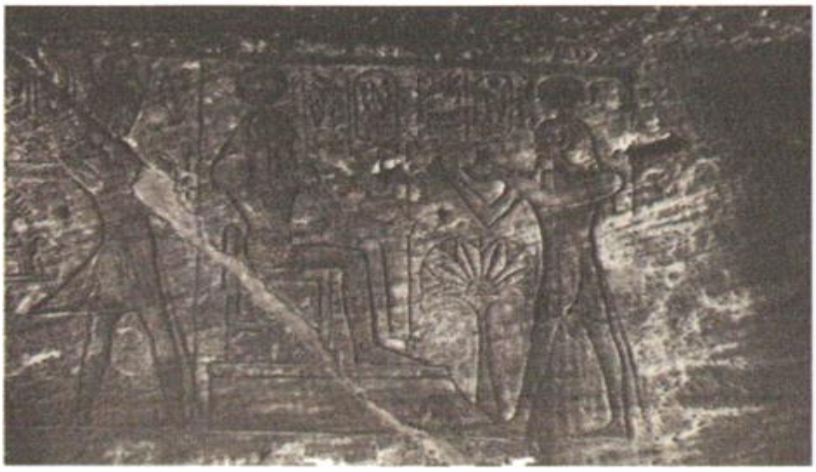
كانت هناك في مصر آلهة كثيرة، يقارب عددها الألفين، جلها محلي، وتظهر عبادتها وتزدهر ثم تأفل تبعا لاختيارات رأس الدولة, فقد كان الفراعنة يختارون الآلهة الرسمية للدولة, ولذلك نُسِبَتْ هذه الآلهة إلى فرعون في الآية. وهو معنى نبّه إليه فريق من المفسّرين منذ قرون، قبل أن تكشف الآثار المصرية القديمة عن أخبار أديان الفراعنة, فقد قال أبو حيان (توفي 754هـ):" وقيل: الإضافة هي على معنى أنه شرع لهم عبادة آلهة من بقر وأصنام[1] وغير ذلك"[2] وأمَّا أن فرعون قد جعل نفسه الرب الأعلى والإله الأوحدَ, فَذاكَ مِنْ جِهَةِ أَنَّه مسكون بروح الآلهة. قال ابن عاشور في تفسيره: "وَكَانَ أَعْظَم هَذِهِ الْأَصْنَامِ هُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ فِرْعَوْنُ إِلَى بُنُوَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَعْدُودًا ابْنَ الْآلِهَةِ، وَقَدْ حَلَّتْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى نَحْوِ عَقِيدَةِ الْحُلُولِ، فَفِرْعَوْنُ هُوَ الْمُنَفِّذُ لِلدِّينِ، وَكَانَ يُعَدُّ إِلَهَ مِصْرَ، وَكَانَت طَاعَتُهُ طاعةٌ لِلْآلِهَةِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات : 24]"[3]

[1] لم يكن هؤلاء المفسرون يعرفون أعيان آلهة مصر القديمة

[2] أبو حيان: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420هـ، 5/144.

[3] ابن عاشور التحرير والتنوير، 59/5

ويُؤيد ذلك ما جاء عن فرعون، في نقش السيرة الذاتية لرخميرع -الوزير إبان حكم تحوتمس الثالث وأمنحتب الثاني-:



"لقد [رأيتُ] شخصه في شكله (الحقيقي)، رع سيد السماء، ملك الأرضين عندما يرتفع، قرص الشمس عندما يظهر نفسه... القادة يركعون له كل المصريين، كل رجال العائلة، كل العامة"[1]

لقد كان رع أحد الآلهة القومية الرئيسة في مصر، وكان خالقا، كما أنه كان يُعتبر أبا لرمسيس الثاني، وكان لقب ابن رع أحد الألقاب الملكية، وقد بنى له رمسيس الثاني "معبد أبو سنبل".

والمطابقة بين الفرعون والإله رع، تفسر أن يكون الفرعون هو الإله الأعلى على المستوى الإيماني الصرف.

ومن المظاهر العجيبة لِعُلُوّ قَدْرِ رمسيس الثاني - المرجح أنه الفرعون الذي أَذَلَّ بني إسرائيل - ما جاء في نقش في المعبد الكبير في أبي سُنبل؛ حيث يَعْبُدُ رمسيس الثاني رمسيس الثاني والمعبود عليه قرص الشَّمس؛ بما يُشِيرُ إلى طابع رمسيس الثاني الإلهي.[2]

ومن النقوش التي تفسر دعوى الفرعون أنه الإله الأوحد على الحقيقة، ما جاء في نقش السيرة الذاتية للوزير رخميرع, فقد جاء في أحد جدران قبر هذا الوزير:" ما هو ملك مصر العليا؟ ما هو ملك مصر السفلى؟ إنّه إله نعيش بمعاملاته. [هو] أبو [كل الناس] وأمهم, وحده بنفسه, لا مثيل له...."[3]

---

[1] - نص النقش:

K. Sethe, Urkunden Der 18. Dynastie: Historisch-Biographische Urkunden, 1909, Volume IV, J. C Hinrichs'sche Buchhandlung: Leipzig, IV 1077, 13-14.

- ترجمة النقش:

A. H. Gardiner, "The Autobiography of Rekhmerë", Zeitschrift Für Ägyptische Sprache Und Altertumskunde, 1925, Volume 60, p. 68.

[2] L. Habachi, Features of The Deification of Ramesses II, 1969, op. cit., Plate II(a)

قال منسق الكتاب: و الجزم بكون الفرعون المذكور في القرآن هو رمسيس الثاني، مجازفة مذمومة وكلام ليس عليه من الشرع دليل، والله أعلم.

[3] سبق وأن أشرنا للمصدر الذي أحضرنا منه هذا النص.

والنقش السالف في قبر هذا الوزير مطابق لما في القرآن من خبر عن أن فرعون قال للملأ من قومه الأشراف والسادة إنّه واحد لا شريك له, ولا أحد فوقه. فالفرعون هو من الناحية العملية -في ثقافة رعيته- من بيده أمر دنيا الناس.

الوجه الثاني:

خاطب الفرعون قومه أنه الإله الأوحد لهم؛ بمعنى أن الأمر ينتهي إليه عمليا، من جهة السلطان, فلا سلطان فوقه. ويشرح عالم المصريات د. محمد بيومي مهران طبيعة ألوهية فرعون, بما يُظهِرُ وجه اعتباره الإله الأوحد على الوجه الواقعي العملي، بقوله:" استطاع مُؤسّس الأسرة الأولى أن يكون لمصر، حوالي 3200 قبل الميلاد حكومة مركزية قوية على رأسها الملك المؤله، الذي كُتِبَ له نجاح بعيد المدى في أن يجمع بين يديهِ كُلَّ السُّلطات، حكومةٌ كان الملك فيها هو المحور، بل الرُّوح التي تبعث الحياة في الدولة، وكلُّ ما يحدث فيها وحي منه، قامت على أسس دينية عميقة الأثر، فهو الإله العظيم، وهو الإِلهُ حُور، الذي تَجَسَّدَ في هيئة بشرية، ومن ثم فهو، في نَظَرِ رعاياه، إله حي على شكل إنسان، يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لها من حقوق، وبالتالي فله حق الاتصال بهم، وله على شَعْبِهِ، ما لغيره من الآلهة، من المهابة والتقديس.

ومن هنا كان الأساس السياسي والاجتماعي الذي قامت عليه الحضارة المصرية هو التأكيد بأن مصر يحكمها إله، وأن هذا الإله الجالس على عرش الكنانة غير محدود المعرفة والمقدرة، وأنه على علم بكل ما يدور في البلاد، ومن هنا كان من الصعب أن تُفرق بين المَلِكِ والدولة، إذ كانت كلمته قانونا، ورغبته أَمْرًا، ورعيته ملك يمينه، يتصرف فيها متى شاء، وهكذا كانت الضَّرَائِبُ تُؤَدَّى لِتَمْلَأَ خزائِنَهُ، والحروب تقوم من أجل شهرته وإعلاء ذِكْرِهِ ، والعَمَائِرُ تُقام تكريما له، وتشريفًا لِقَدْرِهِ، وكلُّ أملاك البلاد خالصة له وهي حقه فإذا سَمَحَ لمخلوق ما أن يكون له فيها نَصِيب، فإنّ هذا لا يعدو أن يكون عارية يَسْتَرِدُّها عندما يشاء"[1]

باختصار، كانت توجد في مصر آلهة معبودة مختلفة, إعتبرت [آلهة الفرعون], لأن صعودها لتكون آلهة قومية، يحتاج موافقة الفرعون ومباركته. وكان الفرعون الإله الأوحد في مصر من جهة إيمانية باعتباره تجسدا لآلهة السماء، وعمليا باعتباره مالك مصر بما فيها ومن فيها, فهو المالك والملك، والحاكم الذي لا كلمة تعلو كلمته.

اهـ رد د. سامي عامري -جزاه الله خيرًا-.

3ـ هلا يستحيي الطرف اللاّديني ويُذعن لحقٍ نوره أسطع من نور الشمس في رابعة النهار؟ هل سيتوقف عن التنقيب في حاويات المستشرقين الذين أضحكوا على أنفسهم العامة قبل الخبراء؟ للأسف لا!

[1] محمد بيومي مهران الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة، دار المعرفة الجامعية، 1419 هـ / 1999، ص 157

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه أمثال فريدريك تشارلز كوبليستون في القرن العشرين في كتابه **«Jesus Christ Or Mohammed»** للقول أن هذه الآية بالأصل مقتبسة من المدارش الأجادية![1] مدراش تنحوما «Tanhuma Yelammedenu» ومدراش خروج رباه «Exodus Rabbah», والمدارش الأجادية ببساطة هي نصوص مضافة كمواعظ للعهد القديم والتي كتبها الشراح عبر أزمنة متفرقة وتتكون من المواعظ التي ألقوها في المعابد، واتّبعوا فيها الأسلوب الأجادي أو الشرح القصصي على سبيل الوعظ, ويمكن أن نقول أنها أقرب إلى تفاسير ظهرت مضافة للعهد القديم بشكل متفرق زمنيًا.

والنص التالي الذي من "مدراش تنحوما" الفصل 14 هو ما زعم المستشرقون بأنه مصدر الرسول ﷺ:" وقال الرب لموسى: بكّر في الصباح وقف أمام فرعون، فإذا هو خارج من الماء" (خروج 8: 16). لماذا ذهب فرعون إلى الماء في الصباح الباكر؟ لأن الشرير كان يفتخر بأنه إله لا يحتاج للذهاب إلى الماء لقضاء حاجته، لذلك خرج في الصباح الباكر لئلا يراه أحد وهو يقوم بعمل مهين"

ينقل لنا ألان هاوزر في كتابه **تاريخ تفسير الكتاب المقدّس** ما يُبطل هذه الفرضية المضحكة, ويقول الآتي:"مدراش خروج رباه يتكون من جزئين, الأول مِدراش تفسيري في [خروج 10-1] والثاني مِدراش مواعظ في [خروج 12-40], يؤرخ الحاخام اليهودي ليوبولد زونز عام 1892م بأن العمل بأكمله يعود إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر في حين يعتبر موشيه هير الأستاذ الفخري في التاريخ اليهودي أن الجزء الأول متأخّر عن الثاني، وبالتالي لا يؤرخه قبل القرن العاشر. ويؤكد أفيغدور شينان الأستاذ الفخري في أقسام الأدب العبري وعميد الجامعة العبرية أن الجزء الأول يعود إلى القرن العاشر."[2]

ويُأكّد ذلك ما نجده في قاموس أوكسفورد للدين اليهودي:" مِدراش خروج رباه هو تنقيح متأخر نسبيا في القرن العاشر تقريبا للمواد المدراشية التي تم العثور عليها غالبا في مدراش تنحوما إلى الخروج... وربما المواد التي نشأت مع المحرر نفسه، تم الاستشهاد بهذا المدارش لأول مرة من قبل مؤلفي إسبانيا في القرن الثالث عشر."[3]

ونعود مجددًا لألان هاوزر وفي نفس الكتاب ونفس الصفحة, وذلك في إطار كلامه عن مَدارش تنحوما, حيث نجده يقول: "إن أدب تنحوما مجموعة من المدراش الوعظية عن أسفار موسى الخمسة والتي تم نقلها في إصدارات عديدة... التاريخ الشائع للأدب تنحوما هو أوائل القرن التاسع."[4]

---

[1] Jesus Christ Or Mohammed by F.S Coplestone P80

[2] A History of Biblical Interpretation by Alan J. Hauser and Duane F. Watson, Volume2 P133

[3] THE OXFORD DICTIONARY OF THE JEWISH RELIGION SECOND EDITIO P262

[4] A History of Biblical Interpretation by Alan J. Hauser and Duane F. Watson, Volume2 P133

ونجد كذلك برانون ويلر أستاذ الدراسات الإسلامية ورئيس قسم مقارنة الأديان بجامعة واشنطن أثناء ردّه على أحد الذين تبنّوا خرافة اقتباس القرآن من المدارش اليهودية يقول:" إذا كان هاينريش سباير يدّعي أن القرآن كان يعتمد بشكل مباشر على مدراش [خروج رابا] فسيكون من الضروري أولاً إظهار أن المواد الموجودة في مدراش خروج رابا أقدم من القرآن، ويتضح من أجزاء من هذه المدراش أن التقاليد التفسيرية التي يحافظ عليها ترتبط ارتباطا وثيقا بعدد من الأعمال المتأخرة بما في ذلك مدراش تنحوما... ومدراش تكوين رابا... وكلها يصعب تأريخها إلى ما قبل القرن السابع, ويؤرخ العلماء اختزال مدراش خروج رابا إلى القرن العاشر، وأيضًا لا يشرح سباير كيف وصلت هذه القراءة الحاخامية إلى القرآن."[1]

بل يتجاوز الأمر ذلك إلى كون هذه المدارش ليست فقط متأخرة عن النص الإسلامي بل فيها علامات على تأثّرها به وليس العكس, كما يذكر ذلك مايكل بريجيل أستاذ الدراسات الدينية في جامعة إيلون:" في مدراش [رابي إليعازر]، و [ترجوم جوناثان] و [مدراش تنحوما] بغض النظر عن مسألة ما إذا كانت هذه الأعمال تحتوي على مواد قديمة أصلية أو أنها على العموم مبكرة جدا، النقطة المهمة هنا أنها تحتوي بلا شك على بعض المواد التي ليست فقط متأخرة فيما بعد ظهور الإسلام، ولكن يمكننا وصفها بأنها مواد في الواقع [إسلامية] أي أنها تعكس التأثير الثقافي العام للإسلام على المجتمعات غير المسلمة التي خضعت للهيمنة العربية"[2]
بل ويعود بريجيل وفي نفس الصفحة من كتابه ليأكّد ما سبق ويقول:" لطالما كان العلماء مترددين للغاية في الإعتراف بإمكانية أن يكون للمواد الإسلامية تأثيرًا على التفسيرات اليهودية للكتاب المقدس قبل الازدهار الكامل للثقافة العربية في العصور الوسطى، وهي النقطة التي يصبح فيها من الصعب إنكار هذا التأثير، ومن أهم هذه العناصر هو الأدب الأجادي وعلاقته بالمرويات الإسلامية الموجودة في مراجعة هيلر الطويلة لكتاب اساطير اليهود للويس جينز برج، والتي يؤكد فيها هيلر على التأثير الواسع للمواد الإسلامية في مواد (المدارش) المتأخرة..."

4- وماذا عن مِدراش الحبر إسماعيل التي يُرجّح تاريخ كتابتها إلى ما قبل القرآن والتي احتوت على مسألة تأليه فرعون لنفسه؟

مجددًا حتى مع هذه المحاولة اليائسة فإن الملاحدة وأساتذتهم من المستشرقين لم يتقدموا من مكانهم قيد أُنملة, لماذا؟! لأنه ببساطة ثمّة صخرتين كبيرتين تتحطم عندها آمالهم الضعيفة لتصبح هشيمًا تذروه الرياح, وهما:

[1] Moses in the Quran and Islamic Exegesis by Brannon M. Wheeler P39

[2] THE GOLDEN CALF BETWEEN BIBLE AND QUR'AN by Michael Pregill P314

الصخرة الأولى:

أن الآيات القرآنية التي روت لنا قصة تأليه فرعون لنفسه أول نزولها كان في مكّة, مثل آيات سورة النازعات, يقول الله تبارك وتعالى {فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (25)} وآية سورة القصص, يقول الله سبحانه وتعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)}.

وسورتا النازعات والقصص مكّيتان بالإجماع ولا خلاف في ذلك[1], ومن المعروف لدينا غياب العنصر اليهودي في مكّة وحتى فيما جاورها من المُدن كالطائف وما شابه ذلك سواء قبل البعثة أو بعدها بل حتى قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلّم. لم يُعرف تواجدٌ لليهود هناك, فضلاً عن تواجد كتبهم المقدّسة فضلاً عن مدارشهم الشارحة لها سواءً بشكلها المكتوب أو الشفهي! فمن أين إذًا سيقوم النبي صلى الله عليه وسلم بإقتباس المعلومات التاريخيّة المتعلّقة بقصة تأليه فرعون لنفسه؟!

الصخرة الثانية:

سيُحاول السوفسطائي كعادته المرواغة وتقمّص دور مخرجي الأفلام وكُتّاب السيناريوهات الخيالية ليقول لنا "قد عُرف عن قريش تجارتها نحو اليمن والشام, ومن المعروف كذلك أن كان هناك تواجد لليهود في بلاد الشام إلى جانب تواجدهم حول المدينة المنوّرة, فما المانع إذًا من أن يكون النبي ﷺ قد نقل عن أحبارهم المعلومات التي ستساعده في تأليف قرآنه؟!"

والإجابة عن هذا السيناريو الخُزعبلي هي أنه لم يُعرف عن النبي ﷺ تجارةٌ نحو الشام سوى مرّتين في حياته, وكلها قبل البعثة! الأولى هي قصّة سفره صلى الله عليه وسلّم مع عمه أبا طالب نحو الشام ولقائهما بالرّاهب بحيرى, وطبعًا لسنا في حاجة إلى تذكير الملاحدة السوفسطائيين أصحاب ذاكرة السمك أن هذا اللقاء كان لمرّة واحدة فقط وكان عمر النبي ﷺ حينها 12 سنة, ولسنا في حاجة كذلك إلى تذكيرهم بأن الرواية لم تذكر شيئًا آخر مثير

[1] بالنسبة لسورة القصص هناك بعض الآيات التي حدث حولها الخلاف في هل هي مدنية أم مكية , وهذا الخلاف لا يؤثّر في حجتنا لأنه لا علاقة له بالآية التي حكت إدّعاء فرعون للألوهية

للاهتمام غير لقائهم به وتبشيره لأبي طالب بنبوّة ابن أخيه, وليس فيها أي ذكر أو إشارة إلى لقائهم باليهود لا من قريب ولا من بعيد![1]

والثانية كانت في شبابه ﷺ لمّا خرج إلى الشام في تجارةً بمال أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- وقد رافقه في هذه الرحلة غُلامها ميسرة الذي حكى تفاصيلها وما وقع له صلى الله عليه وسلّم من شهادة أحد الرهبان له بالنبوة إلى جانب إخباره عن أمانته وصدقه في التجارة... ومجدّدًا فهذه الرواية رغم طولها وتفاصيلها الذين جعلانا نتجنّب ذكرها لم نجد فيها أي إشارة ولو ضعيفة عن لقاء النبي بأحبار اليهود أو جلوسه معهم ليناقشهم ويتعلّم منهم كمّا يدعي مرضى النفوس من السوفسطائيين!
بالتالي لم يبق للملاحدة المرواغين وأجدادهم المستشرقين الذين علّموهم صنعة تأليف الخيالات والأوهام سوى خيارين أحلاهما مرّ: إمّا أن يعتمدوا على السردية الإسلامية المتكوّنة من الروايتين اللّتان سبق ذِكرهما في محاولتهم لدعم فرضيتهم وبالتالي هم مُطالبين رُغمًا عن أنفهم بالتسليم الكامل لها وبما فيها من إعترافٍ صريح بنبوّته ﷺ، من دون نسيان أنهم لن يستفيدوا منها شيئًا يشهد لهم بصحة ظنونهم الهشّة!

وإمّا أن يحاولوا التنقيب عن شواهد ومرّويات تاريخيّة أخرى بعيدة عن السردية الإسلامية تدعم خيالاتهم ويا للأسف مجددًا: لا وجود لأي دليل تاريخي محترم يتشبّثون به! فماذا بقي لهم؟! لم يعد أمامهم سوى الظّنون البحتة العارية من أي مصدر تاريخي صحيح بأنواعه المختلفة (روايات مسندة, مخطوطات,...إلخ) ونحن معشر العُقلاء في غنًى تامٍّ عن إقامة وزنٍ لها فضلاً عن مناقشتها, لأنّهم باختصارٍ شديد {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : 28]

ملحوظة سريعة ومهمّة:

قد يُحاول المسفسط الإلتفاف مجددًا تحت مظلّة أن المدارش اليهودية (مدراش الحبر إسماعيل هو المعني بالأمر) لم تكن حكرًا على أحبار اليهود فقط بل نجد تاريخيًّا من استشهد بها من النصارى أمثال جيروم المسيحي (345 – 420 م), فلماذا لا يكون النصارى قد ورثوا علوم جيروم التي استفادها من مدراش الحبر إسماعيل والتي بدورها سيستفيد منها النبي ﷺ؟ وبغض النظر عن صحة ثبوت استشهاده (أي جيروم) بِمدراش الحبر إسماعيل من عدمه فهذا لا يهمّنا لأنه لا يساعد المسفسط لا من قريب ولا من بعيد بأي شيء, فلا زالت الصخرتان اللتان وضعناهما في طريقه شامختان ولم يستطع بهذه الالتفافة البائسة أن ينجو من الإلزامات السابقة, لماذا؟!

- ❖ لأنه لا تزال أمامه معضلة كون الآيات التي ذكرت مسألة تأليه فرعون لنفسه مكّية.

[1] على الرغم من النزاع الشديد بين أهل العلم حول سند هذه القصة وصحّتها من عدمها إلّا أن أصلها مشهور عند أهل السير, وهذه الشهرة من الأمور التي يستأنس بها في أخبار السيرة. والله أعلم

❖ ولا تزال أمامه معضلة أن النبي ﷺ لم يخرج إلى الشام سوى مرّتين في حياته حسب السردية الإسلامية وكان ذلك في شبابه قبل البعثة, والسردية الإسلامية كما سبق ونبّهنا فإنها لا تخدم خيالات وفرضيات الملحدين المضحكة بل ستكون وبالاً عليهم لو أخذوا بها!

❖ وضف على ماسبق في حالة لو أراد السوفسطائي إقحام ورقة بن نوفل كمحاولة بائسة أخيرة على أنه من نقل علوم جيروم إلى الرسول ﷺ هنا سيكون قد أوقع نفسه في مصيبة لا تقل حجمًا عن سابقتها بسبب كون ورقة بن نوفل لم يلبث بعد بعثة محمد ﷺ إلا قليلا، مع اعترافه بنبوته ﷺ وأنه سيُناصره ضد أعدائه[1]... فهل سيأخذ المسفسط بشهادة ورقة بن نوفل على نبوّة محمد ﷺ كما تقول السردية الإسلامية التي حاول الإعتماد عليها لإنتاج سفسطته؟!

لعل في هذا تمام الغرض، والوفاء بالمقصود، وهذا آخر هذه الرسالة بعون الله وحسن منه وتمام كرمه تعالى.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وقِنَا عَذَابَ النَّارِ

اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

وكان الفراغ من إخراجه على هيئته هذه

عصر يوم الثلاثاء، أول ذي الحجة

لعام ست وأربعين وأربعمائة

وألف من الهجرة النبوية

على صاحبها أزكى

سلام وأطيب

تحية.

[1] راجع صحيح البخاري , الأحاديث برقم 3 و 6982

قال منسقه -عفا الله عنه-: هذا ما تيسرت مراجعته و قَدِرَ على ضبطه من محتوى الرسالة، ومن وقع نظره على شيء من الخلل أو قدر من الزلل، فليسدل ستار الإغضاء عليه، وليسأل للكاتبين العفو والمغفرة، وليحمل ما بدا له منهما ومني من ذلك الغلط على أحسن المحامل، فهما لذلك أهل، وليراسلهما إن توصل إلى سبيل ذلك، على أنني بإذن الله أكلمهما في إصداره أصدارا ثانيا، يكون فيه شيء من توسع، وقدر من تحسين، والحمد لله أولا وآخرا.


القرآن الكريم